

محمود السعدني

أمريكا يا ويكا



سلسلة شهرية تصدر عن دار الهلال

رئيس مجلس الإدارة : مكرم محمد أحمد

نائب رئيس مجلس الإدارة : عبد الحميد حمروش

رئيس التحرير : مصطفى نبيل

مدير التحرير : عايد عياد

مركز الإدارة :

دار الهلال ١٦ محمد عز العرب . تليفون . ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط

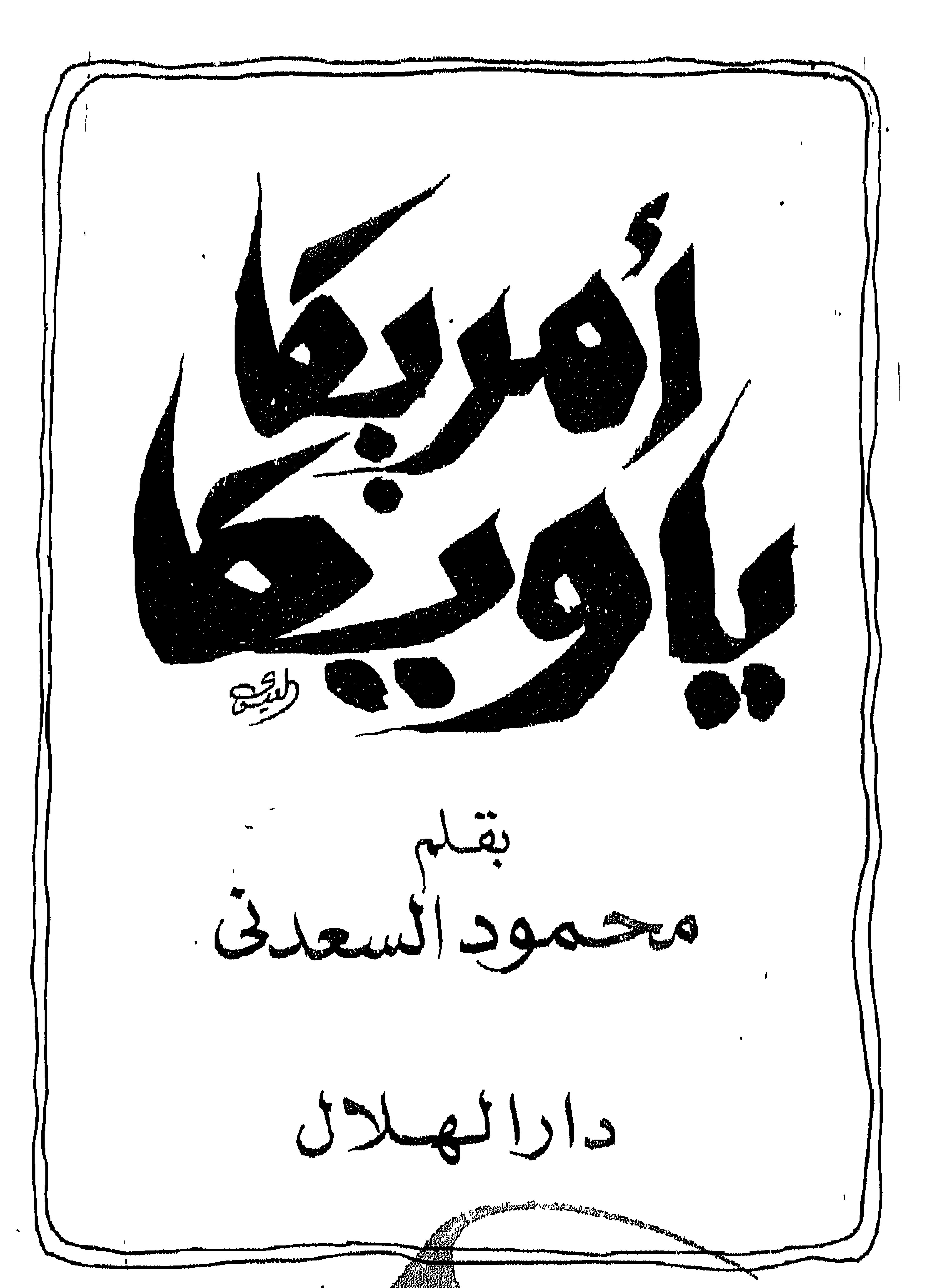
KITAB AL-HILAL العدد ٤٧٣ - شوال ١٤١٠ - مايو ١٩٩٠

أسعار البيع للعدد العادى فئة ١٥٠ قرشاً

لبنان : ٧٠٠ ليرة ، الاردن : ٦٠٠ فلس ، الكويت : ٥٠٠ فلس ، العراق : ١ دينار ، السعودية : ٧ ريالات ، البحرين : ١٢٠٠ فلس ، الدوحة ٨ ريالات ، دبى ٨ دراهم ، ابوظبى : ٨ دراهم ، مسقط . ٨٠٠ بيزة ، تونس . ١٦٥٠ مليما ، المغرب ١٥ درهما ، غزة والضفة : ١ دولار ، الجمهورية العربية اليمنية ٨ ريالات ، جمهورية اليمن الديمقراطية : ١٥٠ سنتا ، لندن ١٥٠ بنى ، إيطاليا ٣٠٠٠ ليرة .

الغلاف بريشة

الفنان بهجت عثمان


أمريكا يا ويكا
بقلم
محمود السعدنى
دار الهلال

العصر الأمريكى

أمريكا هى أعظم وأضخم وأرخم امبراطورية ظهرت فى التاريخ ... اما كونها أعظم فهى اختصرت من ميزانيتها بعد التفاهم مع الاتحاد السوفييتى ١٦٠ مليار دولار من ميزانية الدفاع هذا العام ... اما كونها اضخم فهى بلاد بلا حدود ، وهى فى حجم ٥٠ دولة ، وشعبها خليط من كل شعوب الأرض . اما كونها ارخم امبراطورية ، فهى بالرغم من عظمتها ورخامتها تدعى ان اللوبى الاسرائيلى يتحكم فى مقدراتها وفى قراراتها . وهى تغضب جدا اذا اشترت امارة عجمان مثلا صفقة سكاكين من الصين ، ولكنها تهنىء اسرائيل اذا اطلقت صاروخها إلى الفضاء الخارجى . والدليل على رخامتها ايضا ان كل رؤسائها بلا استثناء مع اليهود وهم فى السلطة ، ومع العرب عندما يصبحون على المعاش . وهى تجتاح دولة فى حجم حى من احياء نيويورك مثل بناما بحجة ان رئيسها نورييجا يتاجر فى المخدرات ، مع ان السبب الحقيقى فى اجتياح بنما هو السيطرة على قناة بنما

واحتلالها الى الابد . وهى هاجمت كوبا ذات يوم بحجة ان كاسترو دكتاتور ، ولكنها تتعامل مع دكتاتور السلفادور ، وتتعاطف مع دكتاتور جنوب افريقيا . وهى ظلت زمنا طويلا تذرف الدمع على حقوق الانسان الضائعة فى رومانيا وفى بولندا ، ولكن قلبها لم يخفق مرة واحدة لحقوق الانسان الضائعة فى دولة اسرائيل ! وهى زعيمة العالم الديمقراطى ، ولكنها انتفضت غاضبة عندما سادت الديمقراطية فى شيلى ، وتآمرت عليها وأسقطت الرئيس المنتخب الليندى وقصفت قصره بالقنابل وقتلته تحت الأنقاض ! وهى قائدة العالم الحر ، ولكن كل عملائها فى بعض اجزاء العالم يحكمون بالحديد والنار . وهى تتصدر الحملة ضد المخدرات فى العالم ، ومع ذلك تبيع الصنف الممتاز فى اسواق العالم لتشترى اسلحة لجيش الكونترا الذى يقاتل الثورة فى نيكاراجوا .

ان امريكا باختصار هى ارخم امبراطورية عرفها تاريخ البشر ، ومع ذلك فالسوق الامريكية هى اكبر سوق تجارية فى العالم ، والديمقراطية فى داخلها هى اوسع ديمقراطية عرفها اى شعب من شعوب الأرض .

وباستطاعة اى مواطن امريكى او مقيم على ارض أمريكا ان يصدر صحيفة او يؤلف حزبا او يخترع دينا جديدا او يدير محطة اذاعة او يمتلك قناة تذيع ما يشاء من برامج التليفزيون . وفى امريكا صحافة تستطيع ان تسقط رئيس الولايات المتحدة ، وفيها اعظم ابطال

الرياضة وأغنى اغنياء العالم ، واعظم فن سينمائى يمكن انتاجه ، وفيها فن مسرحى ليس له مثيل فى اركان المعمورة ، وفيها فرص لأى صاحب فكر أو صاحب علم ، وهى رائدة فى مجال الفندقة وفى مجال الاطعمة المحفوظة ، وهى اكثر دولة فى العالم استخداما للطيران الداخلى ، وأغنى وأقوى شركات الطيران بها هى التى تعمل طائراتها على الخطوط الداخلية ، وأهيف شركاتها هى التى تعمل فيما وراء البحار . وفى امريكا عصابات تسرق الكحل من العين ، وفيها مافيا تدير المعارك الانتخابية ، وتقاول حضرتك لتوصيلك الى الكونجرس او الى الوزارة . وفى امريكا فساد لم يسبق له نظير من قبل ولن يكون له نظير فى المستقبل . وفى مقدورك ان تشترى عضو الكونجرس ، وعضو مجلس الادارة ، ومحافظ الولاية ومدير البوليس فى المدينة ، وصاحب القلم وحامل المسدس ، ولكن نهار أبوه ازرق من يضبط فى حالة رشوه ، ونهار جده اسود من تسوقه الصدف السيئة الى دخول السجن الامريكى .

امريكا باختصار ليست دولة ولكنها قارة ، وهى ليست جزءا من البشرية ولكنها البشرية نفسها فى سحرها وفى انحطاطها ، فى ظلمها وفى عدلها ، فى طموحها وفى اعتدالها ، فى غناها وفى فقرها ، فى زهدها وفى طمعها . وهى على عكس الامبراطوريات السابقة اذا سقطت يستجد العالم كله معها ، لأن اقتصادها يؤثر فى العالم كله

، ودولارها هو العملة الرسمية الآن للكرة الارضية . واى دولار نضعه فى اى بنك فى العالم تجده مدرجا فى كشف بالبنك المركزى الامريكى .

انها فتوة العالم الجديد والوحيد ايضا . وهى مثل المرحوم ابراهيم كروم فتوة مصر ، استطاعت ان تحطم كل الفتوات الآخرين ، وان تزيحهم من طريقها ، وان تدوس عليهم بالاقدام . ونهار امه ازرق اى زعيم يقف فى وجه اطماعها ، أو يتحدى ارادتها ، او يخرج عن خطها . وهى احيانا تتدخل بنفسها واحيانا تستخدم صبيانها استخدمت اسرائيل ضد العرب ، وحكومة بريتوريا ضد افريقيا ، وباكستان ضد افغانستان . والسان سلفادور ضد نيكاراجوا ، وجواتيمالا ضد كوبا ، وتايوان ضد الصين ، وكوريا الجنوبية ضد كوريا الشمالية !

وهى البلد الوحيدة التى تطلق على حكومتها اسم ادارة ، لأنها ليست دولة ولكنها شركة ، ومواطنوها ليسوا شعبا ولكنهم مساهمون فى الشركة ، وكل مساهم يستطيع ان يضاعف حصته بشراء اسهم اكثر ، ويخون الحظ بعض المساهمين فيفقدون الاسم تبعهم ويتحولون الى صياع ومتسولين . ونهار امه ازرق من يقع منهم من قعر القفة . لان الشركات لاقلب لها ، ان المصلحة هى سيدة الموقف ، وعليك ان تدافع عن مصلحتك بقبضة اليد ، او بماسورة المسدس ، ولذلك فليس هناك اى فرصة فى حل عادل لأى مشكلة والامل الوحيد هو فى الوصول الى العدل الامريكى للمشاكل . والعدل الامريكى

هو الى جانب القوى وضد الضعيف ، انه عدل اشبه بقانون الغابة . وفى هكذا قانون لا امل إطلاقا فى ان يتغلب حمار الوحش على الاسد ، او يطارد الارنب الذئب ، او تتحدث الغزالة النمر ، وعلى من يريد ان يحصل على حقه في العصر الامريكى ان يكون له مخالب وانياب ، وان يكون له زئير . أما الغلابة والذين على باب الكريم فليس لهم اى امل وليس امامهم اى مخرج ، الا ان يرضوا بالمكتوب وان يخضعوا للمقسوم ، او يطلبون من امريكا حمايتهم لقاء السمع والطاعة .

وسوء حظنا نحن ابناء هذا الجيل اننا عشنا العصر الامريكى . ووقعنا تحت طائلة العدل الامريكى . وذقنا بعض الخير الامريكى من اول الشيراتون الى فراخ كنتاكي . والخيبة التى هى بالويبة ان العمر امتد بنا حتى شهدنا البرسترويكا تبع العم جورباتشوف . لقد كانت الامبراطورية السوفييتية خيال مآتة ، ولكنها كانت صمام امن ، وكانت جدارا آيلا للسقوط يستخدمه الغلابة ساترا ضد الطغيان الأمريكى ، وكانت سلاحا صدئا ولكنه رغم الصدأ كان يذود عن الخائفين والمرتعشين ثم جاءت البرسترويكا لتلقى بخيال المآتة على الأرض ، ولتهدم الجدار الخامس وتكسر السلاح الردىء . وخلت الساحة للفتوة الامريكى ولصبيانه العابثين .

ولكن .. رب ضارة نافعة . وحسب القانون الالهى ، كل شىء هالك الا وجه ربك وحسب قول الشاعر لكل شىء اذا ما تم نقصان . وكما المثل الشائع ، ما طار طير وارتفع ،

الا كما طار وقع . وسيجرى القانون على إمبراطورية أمريكا كما جرى من قبل على كل الامبراطوريات وسيحدث فى الحياة كما يحدث فى المسرح . عندما تصل الأحداث الى الذروة يبدأ الانهيار ، واعتقد اننا على ابواب مرحلة بداية النهاية . وكل مانرجوه هو الا تتحقق مقولة ماتفرحش فى اللى راح الا لما تشوف اللى جى :
وندعو الله ان يجعل العصر القادم أفضل من العصر الأمريكى ، وان تظفر البرية بعصر جديد ، يأخذ فيه كل ذى حق حقه ، ويتساوى فيه الجميع فى الحقوق والواجبات وليكن العصر القادم هو عصر البشر وليس عصر الامبراطوريات ولايمكن الوصول الى هذا العصر ، الا بقيام دولة الكرة الارضية فلا حدود ولا جوازات ولا ميزانيات ، وانما خير الارض لكل اهلها .

هل يحلم العبد لله ؟

اعتقد ان هذا هو الذى سيكون خلال المائة عام القادمة . وعندما يأتى الوقت ، سيكون الدين لله والأرض للجميع .

ويارحيم ، يارحمن ، نجنا من العصر الأمريكى

محمود السعدنى

الناس الطيبون ! !

عندما وضع كولومبس أقدامه على الأرض الأمريكية كانت أمريكا كلها شمالية وجنوبية هى أرض الهنود الحمر ، وبعد أن عاش كولومبس معهم فترة ، كتب إلى ملك أسبانيا قائلا : هؤلاء الناس طيبون جدا ومسالمون جدا ، بحيث إنى أقسم بجلالتكم أنه لا يوجد أمة فى العالم أفضل منهم ، إنهم يحبون جيرانهم أكثر مما يحبون أنفسهم ، كما أن حديثهم شديد الحلاوة واللطف ، ورغم أنهم فعلا عرايا ، إلا أن سلوكهم محتشم وجدير بالاطراء .

ولكن هذا الاطراء من جانب كولومبس لم يمنعه من خطف عشرة من الهنود الحمر ، حملهم معه إلى أسبانيا ، وقد مات أحدهم بعد وصوله إلى الشاطىء الأوربى ، ولكنه قبل ذلك كان قد أصبح مسيحيا طيبا ، ولقد كانت رحلة كولومبس إلى أمريكا هى بداية النهاية لصنف الهنود الحمر . وانتهت المعركة بين البيض والحمر بإبادة قبائل بأسرها ، وضاع كل أثر لقبائل الفيكوت والبوكانكت والأباشى والكوماتشى والموهيكان والغاراغانست والشونى ، ولم يدمر البيض صنف الهنود الحمر فقط ،

ولكنهم دمروا الحضارة والتاريخ والعقيدة والفن ، وأبادوا الجنس نفسه ، واشترك في عملية التدمير الجيش الأمريكى وتجار الفراء والباحثون عن الذهب والقتلة المحترفون والمقامرون والمبشرون ورجال اللاهوت ، وبلغت وحشية البيض حدا لا مثيل له فى التاريخ ، إذ تم إبادة قبائل غارا غانست وبنواخ خلال عام واحد فقط وأبيدت قبائل البودا وتأمى والكياكابو بعد حرب ضارية دامت عشرة أعوام ، وكانت قبائل الهنود تقاتل بقيادة الصقر الأسود ، وحققوا انتصارات رائعة ضد البيض ، ولكن بعض الخونة من الهنود الحمر خانوا زعيمهم ، فسلموه للبيض عام ١٨٣٢ مقابل عشرين جوادا ومائة دولار ، وقد أدخلوه السجن ، ولكنهم قبل ذلك عرضوه للفرجة على البيض فى المدن المختلفة ، وبعد أن مات فى أسره الذى لم يستمر إلا ست سنوات ، حصل حاكم منطقة إيوا على هيكله العظمى وعرضه فى مكتبه عدة سنوات ، وأندرو جاكسون رئيس أمريكا الأسبق ، والذى كان الهنود الحمر يسمونه السكين الحادة ، ذبح خلال عمله كضابط عشرات الألوف من الهنود التشيروكى والتشيكوتو والسيمونول .

والحق أقول أن مأساة الهنود الحمر هى أعجب وأغرب مأساة فى تاريخ البشر ، ففى البدء استقبل الهنود الحمر القراصنة البيض القادمين من أوربا بكل الود والترحاب ، وعندما جاع هؤلاء الوافدون قدموا لهم الأغذية ، وعندما شعروا بالبرد قدموا لهم الأغطية ، وعاملوهم كإخوة

وأصدقاء ، ولكن شيئا ما فى البيض وفى سلوكهم جعلهم يتنفرون من صنف البيض عموما ، فقد كان هؤلاء الوافدون من وراء البحر ذوو العيون الزرقاء والشعر الأصفر يكرهون كل ما فى الطبيعة من غابات وطيور ووحوش ومروج وأنهار ، وحتى الهواء نفسه كانوا يضمرون له حقدا شديدا ، وقد اندهش الهنود الحمر بشدة عندما شاهدوا البيض يتبولون فى مجارى الأنهار ويبصقون على الأرض ويطلقون النار على الحيوانات دون أن تكون هناك أى حاجة لقتلها ، لقد عاش الهندى حياته كلها يقدس الطبيعة ، ويكن إحتراما خاصا للأنهار وللتربة وللغابات الحية وللطيور ، وكان لا يقتل إلا الحيوان الذى يحتاج إلى لحمه أو إلى جلده ، وكانوا يؤمنون بإله السموات العلى ، ويعتقدون أن الجنة فى مكان قريب من الله فى السماء ، وأن بها مروجا وغابات وجيادا أصيلة وأنهارا تفيض بالعسل والسمن ، وكانوا يعتقدون أن الميت ينتقل فورا إلى الجنة بعد موته ، وكانوا يقدرون الشجاعة ويحتقرون الجبناء ، وزعيم القبيلة هو أشجعها ، أما صاحب الحكمة فهو المستشار ، وكانوا يصطادون الخيول البرية بطريقة لا يعرف سرها إلا الهنود الحمر أنفسهم ، وقد توصلوا إليها بعد دراسة طويلة لعادات الحصان وطبيعة حياته فى البرارى الموحشة ، كان الهندى يعرف أن الحصان إذا شعر بالفزع انطلق هاربا بأقصى سرعة ، وكان يقطع عشرة كيلو مترات على الأقل قبل أن يشعر بالتعب ، وعندئذ يضطر إلى التوقف ، وقد

لاحظ الهندى الأحمر على مر السنين أن الحصان الهارب لا يذهب إلى اتجاه معين ، ولكنه يدور فى حلقات ، ويقطع المسافة التى يجريها على هيئة قوس ، فإذا توقف ، توقف فى مكان غير بعيد عن الذى انطلق منه ، وبالخبرة والتجربة إكتشف الهندى أن النقطة التى يتوقف عندها الحصان لا تبعد عن النقطة التى انطلق منها أكثر من كيلو متر واحد وعلى خط مستقيم معها ، فكان الهندى يعمد إلى إفزاع الحصان البرى ، فيسارع الحصان بالهرب ، بينما يسير الهندى الهوينا فى خط مستقيم ، وعندما يقطع الهندى كيلو مترا واحدا يكون الحصان المتعب قد وصل إلى نفس النقطة منذ دقائق ، ويكون الحصان قد توقف ليلتقط أنفاسه بعد أن شعر بالأمان بابتعاده عن الخطر الذى أفزعه ، ولكنه يفاجأ بعد لحظات بالهندى نفسه يقف أمامه ، فيعود إلى الهرب من جديد ، وتتكرر القصة مرتين أو ثلاث مرات حسب قدرة الحصان وقوته ، ولكنه فى المرة الثانية أو فى المرة الثالثة على الأكثر يكون الحصان قد نزف أنفاسه كلها ، ويستولى عليه الشعور بأنه وقع فى قبضة قدر محتوم لا يستطيع منه فراراً ، وعندئذ يقف الحصان مستسلما ويستسلم مطيعا ، وبعد دقائق يكون الحصان مربوطا بحبل يمشى وراء الهندى الأحمر إلى حيث يجرى تدريبه واستئناسه ، ولقد حاول البيض إصطياد الحصان بالطريقة الهندية ، ولكنهم فشلوا فشلا ذريعا ، فاكتفوا بوضع الفخاخ والكمائن فى طريقه ، ولقيت آلاف من الجياد الأصيلة

حتفها بسبب هذه الكمائن والفخاخ ، وكانت قطعان البقر الوحشي تجوب الأرض الأمريكية بحثا عن المرعى والماء في قطعان كبيرة ، يربو عددها أحيانا على عدة ألوف ، وكان الهنود الحمر على علم تام بمواعيد هجرتها وبالطرق التي تسلكها تلك القطعان ، وكانوا يصنعون لها الكمائن في الطريق ، ويبدأون صيدها عندما تستقر هذه القطعان في الأماكن التي تلجأ إليها وكانوا يصطادون العدد الذي يحتاجون إليه ، ثم يتركون القطيع يرعى في هدوء ويذهبون إلى حال سبيلهم ، ولكن الذي أدهش البيض حقا ، هو ما لاحظوه خلال عملية الصيد ، فقد كان الهندي الأحمر يوجه سهمه القاتل إلى البقرة التي وقع إختياره عليها فتسقط مكانها ، ثم تتوالى السهام وسقوط البقر دون أن يحرك القطيع ساكنا أو يلجأ إلى الهرب ، بينما كانت رصاصة واحدة من البيض تجعل القطيع يفر هائما في البراري ، ومات عشرات من الصيادين البيض أثناء عملية الفرار هذه بسبب الفزع الذي ينتاب القطيع ويذهب به إلى حد الجنون أحيانا ، ولم يكتشف البيض السر الهندي في إصطياد البقر إلا بعد فترة طويلة من الزمان ، وكان الفرق بين الطريقة الهندية والطريقة الأوربية هو الفرق نفسه بين المعرفة والجهل ، والتجربة والخيبة ، كان الهنود الحمر يدركون أن لكل قطيع قائدا من البقر يتبعه كل القطيع ، إذا توقف القائد توقف القطيع ، وإذا فر القائد فر القطيع ، وكان أول سهم يوجهه الهندي في عملية الصيد يكون دائما من نصيب القائد ، ثم تتوالى

عمليات الصيد بعد ذلك دون أن يفر الجميع ، لأن القائد لم يفر ، ولأن القطيع منتشر على مساحة خمسة كيلومترات على الأقل ، لم يدرك بعد أن القائد قد قتل ، ولكن البيض لم تكن لديهم هذه الحاسة لمعرفة قائد القطيع ، فكانوا يصطادون البقر بطريقة عشوائية ، فكانوا يقتلون عشر بقرات مرة واحدة ثم ينطلق القطيع هاربا لا يلوى على شيء .

وكان من عادة الهنود الحمر إقامة مهرجان كل عام اسمه مهرجان التأهيل للحياة ، وفي هذا المهرجان كانوا يزوجون الرجال الشيوخ بالبنات الأبكار ، ويزوجون النساء المسنات بالشباب الناهض ، وكان هذا الزواج لا يستمر أكثر من عام واحد ، تكتسب فيه البنت البكر الخبرة من الرجل العجوز ، ويكتسب فيه الشاب الخبرة من السيدة المسنة ، وفى العام التالى يتزوج الشبان الأقوياء من الفتيات الصغيرات ، وتبدأ دورة حياة جديدة مدعمة بالتجربة والخبرة ، وكان يحلو للهندى العجوز أن يختار يوم وفاته ، وكان غالبا يختار يوما ربيعيا جميلا ، طقسه معتدل وشمسه مشرقة ، فى ذلك اليوم كان الهندى العجوز يودع أهله ، ويحمل معه الزاد الذى يحتاج إليه فى رحلته إلى الدار الآخرة ، ثم يصعد وحيدا إلى قمة الجبل ، وهناك يتمدد فى هدوء ويتطلع إلى السماء ويتمتم فى صوت خافت ، هذا يوم طيب يصلح لانتقال المرء من هذا العالم الأرضى إلى جنة الله فى السماء ، ثم يغمض عينيه ويموت فى هدوء .

وكانت الحرب تدور بين القبائل الهندية بين الحين والآخر ، وكانت الحرب وسيلتهم لإفراز جيل جديد من الزعماء والقادة ، وكانت لهم تقاليد رفيعة وشديدة الرقى لم تعرفها جيوش البيض فى حروبها إلا قريبا ، كانوا لا يقتلون أسيرا ولا شيخا ولا إمرأة ولا طفلا ، ولا يطعنون أحدا من الخلف ، ولا يباغتون قبيلة ، وكان من عادتهم أثناء المعركة سلخ جلود رءوس القتلى من قبائل الأعداء ، وكان كل هندى منهم يزهو بعدد فروات الرأس التى فى حوزته ، ولكنهم كانوا يعفون عن سلخ فروة رأس المقاتل الشجاع ، إحتراما لشجاعته وتقديراً لقلبه الذى لا يخشى الموت ، أما الجبان الذى يفر من المعركة ، فهو لا يجلب العار على نفسه ، ولكنه يجلب العار على القبيلة كلها ، وغالبا كانت القبيلة تتولى قتله بنفسها ، وكانوا يعيشون فى مجتمع بدائى ينتج فيه الجميع وتتوزع فيه خيراته على الجميع بعدل شديد . وكانوا يحترمون كبار السن ويستمعون إلى نصائحهم ويستفيدون من خبرتهم . كان الهندى الأحمر يعامل النساء باحترام شديد ولطف أشد ، ولذلك رفضت مئات من النساء البيض اللواتى وقعن فى أسرهم أن يتركن أزواجهن الهنود ، ورفضن العودة إلى مجتمع البيض بسبب المعاملة الطيبة والاحترام البالغ الذى كان يبديه الهندى لنسائه . وكان الهنود الحمر لا يأكلون إلا الطازج من الطعام ، ويشربون اللبن المحلوب فور حلبه ، ويأكلون الخبز الذين يصنعونه بأيديهم فور نضجه ، وكان من عادتهم إقامة الحفلات والأفراح كل ليلة

يغنون فيها ويرقصون ، وكان إذا مات الهندى فى الحرب ، تاركا خلفه عدة زوجات ، إنتقلت الزوجات على الفور إلى شقيق الميت وإذا لم يكن له أشقاء انتقلت إلى أولاد العم ، أو إلى العم نفسه ، وكان من حق الهندى أن يتزوج أى عدد من النساء مادام أنهن راغبات فى الزواج منه فقد كان اختيار شريك الحياة من حق الزوجة وليس من حق الزوج ، وكانت الزوجة إذا رغبت فى الافتراق ، تركت بيت الزوجية ولجأت إلى بيت رئيس القبيلة ، وكان من حقها عند ذلك أن تختار من تشاء ليكون زوجها لها ، وكان مهرها هو عدة خيول وعددا من الأبقار وعددا من فراوى الرأس قطعها المرشح للزواج فى معاركه ضد الأعداء ، وكان الهندى إذا قطع عهدا على نفسه نفذه ، وإذا قاتل لا يتوقف عن القتال إلا إذا قتل عدوه أو مات ، وكان إذا اختلف مع قبيلته لأى سبب من الأسباب ، لا يلجأ إلى أعداء قبيلته على الإطلاق . ولكنه يعيش وحيدا فى البرارى حتى يتم الصلح مع قبيلته فيعود أدراجه كما كان ، وكانت للهنود فنون راقية ، ولا تزال بعض رسومهم باقية كما هى داخل الكهوف المنحوتة فى الجبال ، وكانوا يتزينون بالريش ويعشقون الألوان الزاهية ويؤمنون بالسحر ويتداوون بالأعشاب البرية ، وكانوا أول من اكتشف الطباق ودخنوه ، وكانوا يعيشون كما قال أحد زعمائهم (فى غاية السعادة والحب حتى جاء هؤلاء الوافدون من وراء البحر فجعلوا من الحياة محنة وأحالوها إلى جحيم) والمأساة أن هذا الذى حدث للهنود من

جانب البيض لم يكن له مبرر ولا أى سبب ، اللهم إلا جشع البيض وطبيعتهم العدوانية واحتقارهم الشديد لغيرهم من البشر !

من يريد أن يفهم لغز أمريكا ، عليه أن يعود قليلا الى الوراء . الى اللحظة التى رست فيها أول سفينة على الشاطىء الأمريكى ، قادمة من الشاطىء الاخر للأطلنطى .. لحظتها كانت أمريكا مجرد كيان جغرافى ، قارة مترامية الأطراف ، مترامية السكون ، هادئة وعذراء ، غنية الى أقصى حد ، وممتلئة الى حد الشبع ، تسكنها قبائل شديدة الشبه بقبائل العرب فى الجاهلية ، قبائل وكل قبيلة لها زعيم ، وكل زعيم له شارة ، وهم يتكلمون لغة واحدة ولهجات شتى ، ولهم فنونهم وأدبهم ، ويزاولون السحر ويمارسون الطب ، ولهم عادات وتقاليد ، ويقدسون الشجاعة ويستقبلون الموت برحابة صدر ، ويحبون الورد والزهور ، ويعيشون فى أمان واطمئنان ، وربما توهموا أنهم وحدهم على كوكب الأرض ، وأنه لا شىء فيما وراء البحر .. الا البحر وأمواجه وأعماقه وسره الدفين ! هكذا كانت قارة أمريكا لحظة رست أول سفينة قادمة من الشاطىء الآخر تحمل على ظهرها عصبة من حثالة قارة أوروبا ، مهاجرين بحثا عن الرزق ، وهاربين من أحكام قضائية ، ومجرمين خارجين على القانون ، ومغامرين سئموا الحياة فى الأرض القديمة التى أجدبت ، وجاءوا يضربون فى المجهول عن حياة أفضل

ومستقبل مضمون !! ومع هؤلاء كان هناك عدد من المبشرين جاءوا يصرخون فى البرية أعدوا طريق الرب مهدوا سبله مستقيمة ! وكان الجميع على ظهر السفينة مسلحين من الرأس حتى أخمص القدم ، خناجر ومطاوى وبنادق ومسدسات ومدافع ، حتى أصحاب القداسة كانوا مسلحين بالأناجيل والصلبان والمسدسات . ولم لا ؟ وقد جاءوا فى مهمة فى سبيل الرب ، فى سبيل الرب سيفعلون أى شىء وكل شىء ، وهم بالتأكيد فعلوا ذلك ، لم يتوانوا ولم يتهاونوا ، وعلى المعابد البدائية للهنود الحمر اقاموا كنائسهم ، وعلى اشلاء الملايين من سكان البلاد الأصليين شيدوا أديرتهم ، واختلطت أنغام الأورغن وتراتيل صلاة عيد القداس بصياح الجرحى من الهنود الحمر وأنات الذين حصدهم الرصاص بالالوف وداست عليهم حوافر الخيل بلا رحمة ! المهم انه لحظة رست السفينة أول مرة على الشاطىء الأمريكى لم يكن على ظهرها من حضارة العالم القديم الا المسدس والانجيل . ومن هذه اللحظة والى الابد ستلعب كل اداة منهما دورا مهما ومؤثرا فى حياة أمريكا ! وسيكون المسدس فى المقدمة والانجيل بعد ذلك ، ولكن كل منهما سيكمل مهمة الآخر ، وسيكون التعاون بينهما على أكمل وجه !

تلك ، كانت البداية ، ولكن النهاية جاءت أفضل مما كان يرجو هؤلاء الرواد ، تم ذبح الهنود الحمر عن بكرة

أبيهم ، حتى الذين القوا السلاح وعقدوا المعاهدات معهم ، انقضوا عليهم وذبحوهم بعد ذلك ، فلم يكن هؤلاء المهاجرون . البيض ينشدون السلام ، ولكنهم كانوا يريدون الأرض !! وتحرك البيض على ثلاثة محاور لتحقيق هذا الهدف ، أبادة الذين هبوا يدافعون عن أرضهم ، وتحييد الذين لم يفهموا حقيقة الأمر ، واستمالة الذين فى قلوبهم مرض !! استمالوهم بالويسكى وبالسلاح ، وهو سلاح استخدم أغلبه فى ابادة هنود آخرين ، مستغلين حب الهنود للزعامة ، وسعيهم للرئاسة ، وشغفهم الشديد بقيادة الآخرين ! ولم يكن هناك فى ذلك الوقت رأى عام عالمي ولا صحافة مؤثرة ، ولا راديو ينقل الأخبار ، ولا أمم متحدة ، أو حتى متنافرة ، كما أنه لم يكن هناك قانون يحكم العلاقة بين أصحاب الأرض وهؤلاء الذين جاءوا من وراء البحر . كان كل منهم قاتلا أو مقتولا ، وكان قتل البنى أدم لا يكلف أكثر من رصاصة ، وكانت الرصاصة لا تكلف أكثر من خمسة سنتات . ولذلك ، كان البيض يتسلون أحيانا بقتل قبيلة صغيرة ، وأحيانا كانوا يتراهنون على قتل عائلة هندية ترعى على شاطىء النهر ! وكان القتل أداة لتبديد السأم ، ووسيلة لشغل أوقات الفراغ !

وهكذا . ومن خلال أكبر جريمة عرفها تاريخ الانسان ، قامت امبراطورية أمريكا ولا تزال ، امبراطورية العنف

والعافية ، العضل والقبضة ، القوة والعنفوان ! وبدلا من السهول امتدت الشوارع ، ومحل الجبال قامت ناطحات السحاب ، وبديلا عن الحصان انطلقت السيارات من كل نوع ! وفى أول أيام الاستقرار كان البيض يختارون أشرس المجرمين لتولى منصب العمدة ، وبعض هؤلاء كان يجمع بين العمدية والقضاء ! وفى تاريخ أمريكا صفحات مطولة عن ثورات هبت ضد عمد ، وضد قضاة ، وانتهت بشنقهم على أغصان الشجر ! فهذا الشعب الذى احترف القتل لم يكن من السهل قياده الا بواسطة قتلة لهم تاريخ عريق فى الاجرام ! ولقد توارثت الدولة الجديدة الروح نفسها ، وشرطة أمريكا هى أغرب شرطة فى العالم ، وسحب المسدس أسهل من سحب سيجارة ، وقتل مواطن فى الطريق أهون من قتل ذبابة ! ولذلك ينصح السائح والغريب أن يستسلم على الفور اذا أمره شرطى بذلك ، والا يحاول أن يدس يده فى جيبه لاستخراج منديل أو علبة سجائر ، لان وضع اليد فى الجيب معناه فى السلوك الأمريكى أنك تشرع فى سحب المسدس ، وعندئذ يكون من حق الشرطى اطلاق النار عليك .. ولا تثريب عليه ! ولذلك أيضا ستجد فى جيب كل مواطن أمريكى سلاحا يدافع به عن نفسه ، ويعتدى به على الآخرين ، حتى الفقراء منهم يحملون شفرات حلاقة من النوع الذى كان يستعمله الحلاقون أيام زمان ! وفى كل بيت ستجد مدفعا رشاشا على الأقل ، ومسدسا سريع

الطلقات ، وبندقية آلية ، حتى مظلات [illegible] ستجد لها سنونا مدببة تخترق قلب الأبعد اذا لزم [illegible] ! ولهذا السبب لن تعثر بسهولة على متسول فى أمريكا ، ولماذا يتسولون ؟ اذا كان العاطل يستطيع أن يأكل عيشه بمسدس ، والضائع يستطيع ان يشق طريقه فى الحياة بخنجر ، كما أن المدفع الرشاش هو خير وسيلة للسيطرة على الجماهير ، والعصابات هى طريقك الى مجلس النواب ومجلس الشيوخ ورئاسة الدولة ، وهى أيضا الوسيلة الوحيدة للوصول الى قيادة النقابات العمالية والنوادى الرياضية ولذلك فكل مدينة فى الولايات المتحدة هى غابة من الأسمنت المسلح ، وهى غابة أكثر خطرا من غابات أفريقيا ، وأشد شراسة من أحراش الأمازون !

ان الامبراطورية التى قامت على القتل ، ستظل تمارس القتل حتى النهاية ولن تعرف من أين يأتيك الموت ، من العصابات أم من الشرطة ؟ من الشعب أم من الحكومة ؟ فالكل قاتل والكل مجرم . وعساكر الشرطة يشاهدون فى المطاعم يتناولون طعامهم ومسدساتهم على الطاولة ، والمجرم يقضم الساندويتش بيساره ويمينه فى جيب معطفه استعدادا للطوارىء ! وسائق التاكسى مسدسه فى جيب بنطلونه ، والساقى فى البار مسدسه فى درج أمامه محشو مستعد للاطلاق فى أى لحظة ، وربة البيت تسحب مسدسها من تحت الوسادة اذا دق جرس الباب

بعد التاسعة مساء ! وينصحك مدير الفندق الذى تنزل فيه بعدم الخروج وحدك ليلا ، وينصحك بعدم الوقوف على باب الفندق بعد الحادية عشرة مساء ! وينصحك الجميع بعدم استخدام مترو الانفاق الا اذا كنت ضمن شلة ، انه الخوف يحكم المدينة ويحكم الولاية ويحكم الامبراطورية كلها . وهم يخافون القتل ويمجدون القتلى . وكما كان حسن الامام مخرج الروائع يحتفل بالراقصات ويكتب تاريخ مصر من خلال صالة بديعة . كذلك فعلت هوليود ، فهى تكتب تاريخ أمريكا من خلال الجريمة ، وتؤرخ للولايات المتحدة من خلال قصص حياة أشهر المجرمين ! وهم مجرمون لا كمثلهم مجرمون فى أى مكان . فى انجلترا مثلا يحتفلون بروبين هود ، كان مجرما يحب الفقراء ويعطف على الضعفاء ، وكان يسرق من الأغنياء ليعطى المعدمين ! وأرسين لوبين فى فرنسا كان لصا شريفا يسرق الأثرياء ليعطى الفلاحين . ولكن دلنجر فى أمريكا كان شيئا آخر مختلفا . لصا حقيرا يتحاور بالمسدسات ، ويتفاهم بالمدفع الرشاش ، وهو يقتل الذين يقفون فى وجهه والذين يقفون من ورائه !! وهو لا يرحم الذين يعملون ضده والذين يعملون معه . وهو قتل أعتى خصومه واخلص أصدقائه ، وهو أخذ من الجميع ولم يعط أحدا شيئا ، وسلمته للموت البنت التى كانت تحبه ، عندما اكتشفت انه لا يحب أحدا ولا يتعلق بأحد ، وانه مجرم هوايته القتل ومهنته السرقة ! وجونى

ايجر مجرم عتيد فى حياة أمريكا كان سائق تاكسى فى النهار وملكا من ملوك الجريمة فى الليل ، وكان يشرف على امبراطورية من كازينوهات القمار ، وبيوت الدعارة ، وشبكات لتزييف العملة ، ومافيا لفرض الاتاوات ! وبلغ من فرط وحشيته أن هجره الكل وتركه الجميع ، ولم يبق معه الا صديق واحد كان يبكى الليل كله وينزوى فى أحد الأركان النهار كله . وعندما صرخ جونى ايجر فى وجهه : لماذا لا تذهب أنت الآخر ؟ رد وهو يبكى لأننى أجبن من أن أذسب ، وأضعف من أن أعتمد على نفسى ، وليس أحب على قلبى من أن أراك يوما جثة ممزقة بفعل الرصاص . ولم يتركه جونى يستمر ، أخرج مسدسه وافرغه فى دماغه ، وفقد آخر صديق ! وهذه هى عينة من مجرمى أمريكا ، مجرمون بلا طعم وبلا لون ، مجرمون فقط ، مجرمون لا أكثر ولا أقل . واذا كان الاناء ينضح بما فيه ، فالمجرم الأمريكى هو نتاج المجتمع الأمريكى ، وهو نموذج الشخص الأمريكى ، هذا الذى أنحدر من سلالة المهاجرين الأوائل ، الذين ذبحوا قبائل بأسرها ولم يخفق لهم قلب ، وأبادوا شعبا بأسره ولم يرمش لهم جفن . وهؤلاء هم الذين ارتكبوا مذبحة هيروشيما دون أى قلق ! وارتكبوا مذابح فيتنام دون أى عذاب ، وقتلوا الملايين فى كوريا وفى شيلى وفى جواتيمالا وفى بوليفيا وفى الكونغو دون أى احساس . فالمهم ليست الخسائر ، المهم النتائج ، والأمريكى الحقيقى يقول لك فى خيلاء

لولا ابادة الهنود الحمر لما كانت أمريكا ، ولولا أمريكا لما كانت حضارة القرن العشرين ! لقد خضنا فى بحر الدماء لكى نصل الى القمر والى الكواكب . وما قيمة الهنود الحمر أمام تفتيت الذرة وانتاج مركبات الفضاء ؟

هذه هى النفسية الأمريكية وهذا هو المزاج الأمريكى ، وهذا هو التاريخ الأمريكى بلا ديكور ولا تزويق ! سلسلة متصلة من الجرائم ، وهى جرائم أدت الى الخير فى النهاية من وجهة النظر الأمريكية . ولذلك .. عبثا تحاول استدرار عطف أمريكا على شعب فلسطين ، وعبثا تحاول دفع أمريكا الى الوقوف فى صف قضية السود فى جنوب افريقيا . فأمريكا ترى فى اسرائيل شبابها الأول ، انها كالكاتب العظيم الذى يصادف كاتبا شابا يذكره بشبابه ، فيسارع الى تقديمه وتدعيمه واحتضانه . واذا كانت اسرائيل قد أبادت نصف الشعب الفلسطينى فان جريمتها هى نصف جريمة أمريكا ، والأمريكى عندما تناقشه فى هذا الأمر ، يظن أنك أبله أو ربما معتوه . وماذا فى ابادة نصف شعب ؟! اذا كان الثمن هو قيام اسرائيل قمة التمدن فى صحراء القرون الوسطى ، وبيداء الجهالة والاستبداد !! أن المسألة ليست شفقة وليست انسانية انه منطق القوة ، والأمريكى مع القوى ، وهو مع الغالب ، لأن التاريخ نفسه لا يقف الى جوار الضعفاء والمهزومين . المهم هو النوع

الانسانى ، ليس مهما من الذى ذهب ؟ ومن الذى يجيء ؟ بل المهم من الموجود الان ؟ وماذا يفعل ؟ ولذلك لن تجد الحكومة الأمريكية صعوبات فى اقناع الرأى العام الأمريكى بضرورة ابادة شعب العرب لأنهم يحتكرون النفط ويهددون مستقبل أمريكا ووضعها الممتاز ! ولن تجد صعوبة فى اقناع الرأى العام بضرورة ابادة الروس لأنهم العقبة فى طريق امريكا لفرض سيطرتها على العالم واحكام قبضتها على الكون ! فالأمريكى مستعد لأن يسمع كلمة "ابادة" دون أن ينبض فيه عرق . المهم أن تكون "الابادة" مضمونة وطريقها سهلا ومهم أكثر ان تتم الابادة دون خسائر جسيمة للجانب الأمريكى . واذا كان جد الأمريكى الأول قد أباد صنف الاباتشى والكومانشى وجلس فى أرضهم يصطاد السمك ويربى الدجاج . فليس صعبا ان تقنع الحفيد بابادة جنس العرب وجنس الأفريكان ، خصوصا اذا أكدت له أن فى هذه الابادة مصلحة لتطوير المدنية وفائدة لعملية الارتقاء بالحياة !

غريبة ، أليس كذلك ؟ ولكنها أمريكا القاتلة . أمريكا التى ذبحت شعبا بأكمله . وداست على حضارة زاهرة ، وأذابت جنسا من أجناس البشر ، وأقامت حضارتها على اشلاء وعظام وجماجم عشرات الملايين ، ثم أعتبر الأمر كله بعد ذلك طبيعيا ، وانطوت صفحة الجريمة وكأنها لم تكن ، ثم امتد التزييف بعد ذلك الى سجلات التاريخ ،

وتحولت الجريمة الى عملية جراحية كانت ضرورية من أجل نمو المدنية وتطوير الحضارة !! وكما المريب يكاد يقول خذونى ستجد على أبواب أمريكا الآن تمثالا يحمل شعلة موقدة فى يده ، ويسمونه تمثال الحرية ! الحرية ؟! ولم أجد معنى لهذا التمثال بعد شهر كامل قضيته فى أمريكا الا أن تكون حرية المهاجرين من خلف البحر فى ابادة سكان الأرض الأصليين !! وبهذا المعنى فقط انطلقوا ، وتمتعوا بحريتهم على أكمل وجه ! ويا أيتها الحرية ، كم من الجرائم ترتكب باسمك !!

ولقد قدر للعبد لله أن يشهد بقايا أسوأ جريمة أرتكبها جنس البيض من البشر ضد جنس آخر ، كل جريمته أنه من لون مختلف . ولم يبق من شعب الهنود العظيم فى قارة أمريكا المتسعة الارجاء الا سكان هندوراس وبوليفيا وكولومبيا والمكسيك . أما الذين بقوا منهم فى الولايات المتحدة ، فقد ذابوا فى المجتمع الأمريكى ، يرتدون الجينز ويدخنون البايب ويرقصون على أنغام الروك اندرول . ولكن الحكومة الأمريكية لأنها بلا تاريخ ولانها عديمة الأصل والفصل ، فقد حرصت على إقامة مستعمرة هندية لزوم فرجة السياح ، وداخل المستعمرة يقوم بعض الهنود الحمر بتمثيلية كاملة عن حياة الهنود الحمر قبل مجىء البيض من وراء البحار . فالزعيم يجلس فى الخيمة ، على رأسه تاج الريش وفى يده غليونه وحريمه

بين يديه ، وفى انحاء قرية الهنود عشرات من الشغيلة . بعضهم يدبغ الجلود ، وبعضهم يطهى الطعام ، وبعضهم يقوم بترويض الخيل . صورة كاذبة عن مجتمع الهنود فى سالف الزمان . فلم يكن الهنود الحمر من هذا الطراز من البشر ، يتكئون على المساند ويقضون وقتهم مع الحريم . فقبل مجىء البيض من وراء البحار ، كان لدى الهنود الحمر مهنتان رئيسيتان ومقدستان أيضا . العمل ، والقتال . كان الهندى فى أيام السلام يعمل بلا كلل ، يصطاد فى الغابة ، يصنع فراشا ولباسا من جلود الحيوانات ، ويصنع سلاحا من عظامها وقرونها ، وكان يزرع الأرض بالحبوب والدخان . وفى وقت الحرب كان يتحول الى مقاتل شرس ، وكان المحاربون من طراز خاص ، يستهين بالموت ولا يتردد فى النزال مهما كان حجم العدو أو قوته . وبالرغم من الهزائم التى نزلت بهم وقصمت ظهورهم ، الا انهم لم يتوقفوا عن المقاومة فى أية لحظة ، ولم يجبنوا فى أى وقت . وفى تاريخ الهنود الحمر يلمع عشرات من القادة العظام الذين حاربوا حتى آخر نقطة دم . منهم (السحابة الحمراء) و (الحصان المجنون) والزعيم (تاتانكا يوتانكا) ومعناها الثور الجالس وكان (الذيل المرقط) هو زعيم قبائل التيتون . وكان (الغراب الصغير) هو زعيم قبائل الآرا باهو ، وكان (الذئب الوحيد) هو زعيم قبائل الكيوا ، وكانت قبائل الكومانش يقودها الزعيم (كوانا باركر) أما الزعيم

(كولورادو) فقد كان يقود قبائل الاباتشى ، ثم ظهر من بعده الزعيم (جرينيمو) وهو الزعيم الذى اهتمت به استوديوهات هوليود وانتجت عنه أكثر من عشرة افلام . اما قبائل آيل بوت التى كانت تسكن الاريزونا فقد كان يقودها الزعيم (اوراى) وهو من بين الخونة القلائل فى تاريخ الهنود . فقد حارب البيض فترة ثم انضم الى جانبهم ضد ابناء جنسه ، واشتغل مع افراد قبيلته كجنود مرتزقة فى الجيش الامريكى ضد القبائل الأخرى . ولقد حارب جميع الهنود بشجاعة ، وكالاشجار .. ماتت الغالبية العظمى منهم واقفين . أما الذين خدعوا بوعود البيض ، فقد لقوا نهاية محزنة ومؤلمة . وفى تاريخ الهنود الحمر قصة مشهورة ، بطلها آخر زعماء الهنود الحمر الذين قادوا المقاومة ضد البيض وهو الزعيم جرينومو . فقد حارب البيض ثم وقع المعاهدات معهم ثم حاربهم مرة أخرى ثم اضطر الى الاستسلام لهم بعد ان اقنعوه بانه سيعيش حرا فى موطنه الاصلى كمواطن امريكى ، ولكنه بعد ان وضع السلاح وسرح جيشه ، القو القبض عليه واخذوه عنوة مع قبيلته الى فلوريدا ، حيث الرطوبة والحرارة والجو الخانق ، وحيث كانت تعيش هناك بقية قبائل الاباتشى والكومانش . وعندما احتج على نقض العهود ، سجنوه ، ومات مصابا بالسل وهو مقيد فى الاغلال . .

ولقد قدر للهنود الحمر ان يبرهنوا على شجاعتهم

وعلى شدة مراسهم فى القتال فى معركة نهر البرعم . ولم تكن معركة بالمعنى الصحيح ولكنها كانت مذبحة لجيش الولايات المتحدة بقيادة الجنرال الامريكى الطفل كاستر الذى كان يلقب بجزار الهنود ، وكان كاستر قد رقى الى رتبة جنرال وهو فى حوالى الخامسة والثلاثين من عمره ، ولذلك اطلق عليه جنرالات الجيش القدامى الجنرال الطفل ، فقد كانوا يكرهونه لرعونته واندفاعه وعدم مبالاته بالاخطار . ولكن حكومة الولايات المتحدة كان لها رأى اخر فى طفلها المدلل ، كانت تنظر اليه باعتباره الجزار المناسب لذبح صنف الهنود وابادتهم ، وكان هو عند حسن ظنها ، واثبت فى معاركه ضد الهنود انه الرجل المناسب لهذه المهمة ، ولذلك لقبه الهنود بالجزار ، وفى الوقت نفسه كانوا يحملون له كثيرا من الاعجاب لشجاعته ، وبعض القادة الهنود كان يشعر نحوه بكثير من الاحترام ، لاستهانته بالموت ولجلده على القتال . كانت معركة نهر البرعم هى واحدة من اعظم المعارك واشرسها التى دارت بين البيض والهنود الحمر . ففى نقطة ينحنى فيها النهر ويرسم قوسا التقى الجيشان ذات صباح ، جيش البيض المكون من عشرين الف رجل بقيادة الجنرال كاستر وجيش الهنود الحمر الذى يضم محاربين اشداء من قبائل السو والبرولا والمنكنوا واسان ارك والشايان وتحت قيادة الزعيم الهندى (الثور الجالس) بدأت المعركة بمناوشات بين الفريقين استمرت

عدة ساعات ثم لجأ البيض الى استخدام المدفعية الثقيلة ، وعندما حل المساء لجأ الزعيم (الثور الجالس) الى حيلة خدع بها الجنرال كاستر ، فقد اوعز الى جنوده بالفرار من ارض المعركة فى صورة شراذم مذعورة ، وان يسلك المنسحبون كل الطرق وان يذهبوا . فى كل الاتجاهات ، وانطلت الحيلة على الچنرال كاستر . فقد تصور ان الهنود اصيبوا بضربة قاصمة ، وانهم تحولوا الى فلول ، وبات ليلته على امل أن يطاردهم فى الصباح ليقضى عليهم جميعا مرة واحدة والى الابد . ولم يكد نور الصباح يضىء حتى كان جيش الهنود يحيط بمعسكر كاستر من كل الجهات . وعندما ادرك كاستر الموقف بوضوح ، كان الوقت متأخرا . لقد أفلح الجنرال الهندى (الثور الجالس) فى ابطال مفعول المدفعية الثقيلة ، لأن المسافة بين الجيشين لم تعد اكثر من عدة امتار ولم يعد امام كاستر الا ان يقاتل بالبنادق والسلاح الأبيض أو يلجأ الى . الفرار معرضا جيشه لخسائر رهيبة . ولكن كاستر الاحمق المغرور قرر أن يخوض المعركة ومهما كان الثمن . وعلى ضفاف نهر البرعم الذى تحول الى نهر من دماء البشر ، دارت المعركة بين كاستر والثور الجالس ، وانتهت نهاية اجبرت امريكا على تنكيس اعلامها ، وصار يوم المعركة يوم حداد عام فى كل الولايات . لقد ابيد الجيش الأمريكى الذى شاء له حظه النحس دخول هذه المعركة . وبلغ عدد القتلى اكثر من ثمانية عشر ألف

جندى ، أما المئات الذين نجوا من القتل فقد وقفوا يتضرعون للهنود الحمر أن يأخذوهم اسرى ، وابدوا استعدادهم للعمل عند الهنود الحمر كخدم ، ولكن (الثور الجالس) رفض أن يأخذ اسيرا واحدا منهم وامر بقتلهم جميعا ، وفتش الهنود الحمر بين جثث القتلى حتى عثروا على جثة الجنرال كاستر وقد أصيب بسهم فى قلبه ، وعندما تقدم احد المحاربين الهنود لينزع فروة رأس الجنرال جريا على عادتهم ، نهاه الثور الجالس بشدة ، وامر بان يدفن بما يليق به كقائد احتراما لشجاعته وتكريما لذكراه كمقاتل لم يجبن ابدا عن خوض الحرب !!

وثارت ثائرة البيض فى العاصمة الامريكية وجردوا حملة للثأر ، وتمكنت هذه الحملة من ابادة عدة الوف من الهنود المسالمين الذين لم يشتركوا فى المعارك . والأغرب ان معظمهم كانوا من النساء والاطفال . وحينما احترم الهنود الحمر عدوهم الاكبر كاستر فلم يسلخوا فروة رأسه احتراما لشجاعته . نجد العكس تماما فى سلوك البيض ، فلم يحدث ابدا ان احترموا اى شىء أو أى احد . وقد صرخ الزعيم جرينومو عندما عاد الى قريته بعد احدى المعارك واكتشف ان البيض اغاروا على قريته وهو مشغول بالمعركة وانهم احرقوا منزله عن اخره وقتلوا زوجته واطفاله . وقف الرجل يصرخ على اطلال منزله "لقد حاربت طويلا وكثيرا ولكنى لم اقتل فى حياتى

امرأة أو طفلا أو شيخا عجوزا أو مقاتلا بلا سلاح ، إن هؤلاء البيض ليسوا بشرا ولكنهم شياطين على هيئة بنى آدميين" .

وكانت معركة نهر البرعم هى صحوة الموت بالنسبة للهنود الحمر ، فلم يحدث أن قامت لهم قائمة بعد ذلك ، واشتدت حملات البيض ضدهم حتى تمكنوا اخيرا من حصارهم فى مستنقعات فلوريدا ، وبعض الهنود الذين تركوهم يعيشون فى اريزونا واجبروهم على ارتداء ملابس البيض وقبعاتهم ، وظلوا يتسكعون بلا وجهة وبلا عمل ، وسخر أحدهم من حاله فقال "لقد البسونا ملابسهم ومنحونا ألههم لنعبده وأعطونا كتابهم المقدس لنقرأه وحرموا علينا الزراعة والصيد وفرضوا علينا العيش على اعانة الحكومة ، ثم قالوا لنا الان تحضرتم ، ولم أكن اعلم ان الحضارة والصياعة وجهان لعملة واحدة" !

لقد انتهت مأساة الهنود الان لسبب بسيط للغاية ، وهو أن الهنود انتهوا . وستفشل الان فى العثور على هندى أحمر واحد فى انحاء الولايات المتحدة ، لانهم يحاولون اخفاء اصلهم . ولكن العبد لله عثر على احدهم فى طائرة عملاقة اقلتنى من نيويورك الى لوس انجلوس . قدم لى نفسه فى البداية على انه مكسيكى الاصل ، وخلال الحديث عرفت منه انه مهندس رى وانه يعمل فى شركة كبرى تتولى تحويل مجارى الانهار واقامة السدود

عليها ، وبعد ثلاث ساعات من الطيران فتح الرجل قلبه للعبد لله عندما علم اننى من مصر ، ودهشت عندما علمت انه من الهنود الحمر ، وان والده توفى منذ حوالى ثلاثين عاما وهو يرتدى زيهم . كان المهندس الهندى الذى يبلغ الخمسين من العمر من قبائل الشابان فى يوم من الأيام ، ونجا ابوه من معارك الابادة لانه كان طفلا ، ولكنه ظل الى اخر يوم من عمره يذكر الايام السوداء ويحفظ تفاصيلها ، وازدادت دهشتى عندما علمت ان المهندس الهندى معجب بعبد الناصر وبالزعيم كاسترو ، وقال لى المهندس الهندى انه يعانى الاضطهاد حتى الان ، ولكنه اضطهاد على الطريقة الامريكية ، تشعر به ولا تراه ، انهم يسمحون لنا بالتقدم للوظائف الحكومية ، وندخل الامتحان وننجح بدرجات كبيرة ، ولكن من حق الحكومة بعد ذلك اختيار الموظفين من بين الناجحين ، ولان حظوظنا سيئة ، فلم يحدث ان وقع اختيار الحكومة على أحد من الهنود الحمر الناجحين . لذلك سترى فى الحكومة الأمريكية موظفين زنوجا وموظفين من اصل يابانى او صينى او يونانى او ايطالى ، ولكنك لن تعثر على موظف واحد اصله من الهنود الحمر . وقال لى المهندس الهندى . ونحن نطير فوق ولاية كاليفورنيا انهم ينتجون كل عام افلاما عن الهنود الحمر يحشونها بالاكاذيب والمغالطات وينتجون مسلسلات تليفزيونية اكثر لتلويث سمعة الهنود الحمر وتلويث شرفهم والحط من كرامتهم ،

وفى المقابل يمنعون انتاج اى شيء ينصف الهنود الحمر أو يشرح قضيتهم بعدالة ، ورفضوا نشر كتب عن فنون الهنود ولغتهم ، لقد سمموا عقول افراد الشعب الامريكى وسمموا عقول البشر جميعا ، بما انتجوه من افلام ومسلسلات ، وهم يريدون تبرير جريمتهم ضد الهنود على اساس انهم كانوا مجرد حيوانات بلا لغة ولا فن ولا تقاليد من اى نوع ، فالهندى فى افلامهم همجى بلا شرف وبلا اخلاق ، وهو فى افلامهم يغتصب النساء ويقتل الاطفال ويقطع طريق البيض المسالمين ويجز رقابهم بلا رحمة . والحقيقة ان كل ما نسبوه للهنود فى افلامهم كان من صنعهم ، والذى ساعد على ابادة الهنود انهم احترموا تقاليدهم واحترموا قيمهم ، ولو انهم بادلوا البيض وحشية بوحشية وانحطاطا بانحطاط ، فربما نجوا من المصير الاسود ولكنهم رغم كل الظروف لم يغتصبوا امرأة بيضاء قط ، بينما لم تنج امرأة هندية وقعت فى ايدى البيض من الاغتصاب . ولم يسكت المهندس الهندى الا عندما هبطت الطائرة فى مطار لوس انجلوس ، والغريب إنه لم يترك لى اسمه او عنوانه ، باعتبار ان الثرثرة فى الطائرة اذا كانت ضرورية فالحذر اوجب ! الهندى الاخر الذى التقيت به كان يرتدى بالفعل ملابس الهنود الحمر التقليدية . وكان اللقاء فى بغداد وفى مؤتمر عالمى لمناصرة العراق احتجاجا على ضرب اسرائيل للمفاعل النووى . وقد حضر المؤتمر العالمى وفود من كل

مكان ، وكان من بينها وفد الهنود الحمر . واقول الحق ، لقد ركبنى هم شديد بعد هذا اللقاء . روى الرجل مأساة الهنود الحمر بالتفصيل كان للمأساة اسباب كثيرة ، من بينها وحشية البيض واصرارهم على ابادة جنس الهنود .

قصة السود فى أمريكا أسود من وجوههم ، ومسيرتهم أصعب من دخول الجمل فى عين الابرة . وحكايتهم تحتاج الى موال ولا موال ادهم الشرقاوى ، ومأساتهم فى حاجة الى شاعرة كالخنساء لتبكى عليهم ! ومأساة السود فى أمريكا هى مجرد فرع من المأساة الأم ، عندما اصبحت تجارة الرقيق كالنفط هذه الأيام ، مصدر ثروة ومصدر قوة ، ولقد بدأت التجارة القذرة ذات يوم عندما خطفت سفينة برتغالية بعض اهالى ساحل الذهب (غانا) وعرضوهم للبيع فى البرتغال . واندهش الناس فى أوروبا لهذا البنيان البشرى العجيب ، وهذا الاحتمال الذى بلا حدود ، وهذا الصبر على الشقاء بلا نهاية ! وسرعان ما تدفقت المراكب على الشاطىء الافريقى . تخطف وتبيع ، وبدأت شركات العبيد تظهر هنا وهناك ، شركات ولها علامات تجارية ، ومؤسسات ولها مجالس ادارة ، وانتشرت الاعلانات تدعو وترغب الناس فى البضاعة الجديدة . وانتشر السود فى المزارع وفى المخادع ، وكما ربح التجار كسب النسوان البيض رجالا من نوع آخر !! واذا كانت أوروبا قد غرقت حتى اذنيها فى تجارة العبيد ، فقد بقيت امريكا لفترة من الوقت بعيدة عنها ،

كان المهاجرون الجدد فى الأرض الجديدة منهمكين فى ابادة جنس الهنود الحمر ، فلما استقروا بدأوا البحث عن ايد عاملة رخيصة ، وذات يوم ربيعى من العام ١٦١٩ رست سفينة هولندية فى ميناء "بليموث" وعرض قبطان الباخرة على المستعمرين فى "جيمستون" صفقة رابحة ، اذ عرض عليهم شراء عشرين زنجيا كانوا معه على ظهر السفينة كعبيد مقابل كميات من المؤن وبعض زجاجات الخمر وكمية مماثلة من التبغ ، وكانت هذه الصفقة هى أول عهد الولايات المتحدة بالعبيد ! وسرعان ما نشطت تجارة العبيد بعد ذلك بعدة اعوام ، وكان مركزها فى البداية ولاية نيوانجلاند ، ولم تلبث ان انتشرت التجارة وراجت ، واصبحت من أهم مصادر الثروة فى ولاية جورجيا ! كانت تجارة العبيد قد احتلت مكانا مرموقا فى العالم ، وتحول ميناء ليفربول الإنجليزى الى بورصة للعبيد ، ودخلت اشهر الشخصيات الانجليزية فى سوق العبيد ، لدرجة ان معظم ثروات اللوردات الانجليز كانت نتاج هذه التجارة المخجلة !

وعندما قفز عدد الزنوج العبيد الى الملايين ، وضعت القوانين لتنظيم الرق ، واختلفت هذه القوانين من ولاية لاخرى ، فهناك قانون يحرم على العبد اقتناء الطيور الاليفة أو تملك الارض والحيوانات وقانون آخر يحدد كميات الطعام التى يجب على السيد تقديمها للعبد ، وقانون ثالث ينظم العقوبة التى ينبغى فرضها والحدود

المسموح بها للقسوة عليه ، ولكن القوانين اتفقت على ان قتل العبد مجرد مخالفة وشهادة العبد لا تقبل ضد السيد الابيض امام المحاكم !

ولقد كان بين العبيد الأوائل الذين وصلوا الى الشاطىء الامريكى بعض المسلمين وكان من بينهم ايضا اعداد من الوثنيين ، ولكن هؤلاء جميعا حرموا من ممارسة شعائرهم الدينية ، واجبروا على اعتناق الدين المسيحى ، وبالرغم من ذلك ، لم يسمح لهؤلاء العبيد بتشييد كنائسهم الا بعد مائتى عام من وصولهم ، وقامت أول كنيسة زنجية عام ١٨١٦ . ولم يتنفس العبيد الا خلال حرب الاستقلال ، فقد حاربوا على الجبهتين ، بعضهم مع الانجليز وبعضهم مع الامريكان !

وعندما نشبت حرب تحرير العبيد لم يكن الهدف تحرير العبيد فى الحقيقه ، ولكن الهدف كان قيام "الولايات المتحدة" وبالرغم من انتصار الشمال على الجنوب ، ومنح الحرية للزنوج ، الا انهم لم يستمتعوا بحريتهم الا فى القرن العشرين ، وبعد ان خاضوا الحربين العالميتين وتأكدت هذه الحرية بعد الحرب العالمية الأخيرة ! وكانت الحرب العالمية الأولى هى الفرصة التى انتهزها الزنوج لاثبات حريتهم والكشف عن مواهبهم . وبسببها اعيد توزيع الزنوج على كافة الولايات المتحدة بعد ان كانوا يتكدسون فى الجنوب . والسبب انه

عندما قامت الحرب توقف سير المهاجرين الى الأرض الجديدة ، وعاد مئات الألوف من أمريكا الى بلادهم الاصلية لتأدية الخدمة العسكرية وعندما خلت المصانع من العمال ، اتجه اصحاب الاعمال الى العامل الاسود وتم شحن العمال السود من الجنوب الى الشمال باعداد ضخمة ، وسرعان ما تدفق هؤلاء العمال من مناجم الفحم ومزارع القطن ، ومن المطاعم والمطابخ ، الى مدن عظيمة مثل سنسناتى وديترويت وشيكاغو ونيويورك . وبدأ تأسيس حى هارلم اعظم احياء الزنوج فى امريكا ، اكثر حى يتحدث عنه العالم !! وفى نيويورك بالذات حصل الزنوج على ممتلكات لأول مرة تقدر ببلايين الدولارات ، وهبت احياء البيض المجاورة تقاوم ظهور السود ؛ وظهرت المشاكل العمالية ، وزادت الجرائم وتضاعفت اعمال الرذيلة وبسبب الحرب ايضا بلغ عدد الجنود السود الذين ارسلوا فيما وراء المحيط الى فرنسا ٢٠٠ الف جندى ملون ، ونصحت فرنسا بألا تعامل السود معاملة البيض لان هذا العمل ليس من الحكمة ، كما انه ليس من مصلحة احد ! ولكن بنات فرنسا المتحررات الخاليات من عقدة اللون لم يعبأن كثيرا بتعليمات قيادة الحلفاء . عرف الزنوج لأول مرة طعم اللحم الأبيض .. واستطعموه !! وعرف الزنجى كيف يكون العبد سيدا فى ميدان القتال وسيدا فى ميدان الغرام ايضا ! وحدثت عدة حوادث فى جبهات القتال ، فقد اطلق الجنود الزنوج النار على بعض

الضباط البيض لاصرار هؤلاء على معاملة الجنود السود معاملة الحيوانات ، بينما كان رصاص الاعداء لم يفرق بين الابيض والاسود ، كما أن الشجاعة لم تكن دائما فى صف الجنود البيض ! وبالرغم من كل شيء فان فرقا كاملة من الزنوج بالاضافة الى بعض من الضباط والجنود السود ادرجت اسماؤهم لمنحهم صليب الحرب ، واخرون ادرجت اسماؤهم لمنحهم وسام الشرف ، وصليب الخدمة الممتازة ! ولكن هؤلاء الأبطال السود ندموا بشدة عندما عادوا الى ارض الوطن ، فقد استقبلوا من الجهات الرسمية بلا مبالاة وبدون ترحيب ، وحاولوا من جديد فرض القيود عليهم ضاربين بعرض الحائط ما افرزته الحرب العالمية من نتائج جديدة !

ولكن غلاة المتعصبين من البيض كانوا يعلمون ان الحرب العالمية الأولى قد افرزت نوعا جديدا من السود ، فالفوا فى الخفاء جمعية لاضطهاد السود ، وهى جمعية "كوكلوكس كلان" وقد انشئت فى عام ١٩١٥ ، اى فى نفس الوقت الذى كان فيه السود يعرضون صدورهم لطلقات النار فى ميدان القتال ! وشرعت الجمعية فى العمل على الفور ، وارتكبت افظع انواع الجرائم ضد السود ، وكان الزنوج يطاردون كالحيوانات ويطلق عليهم الرصاص ويشنقون ويحرقون بدون ادنى شفقة ! ووقفت المحاكم فى صف المجرمين البيض ضد الزنوج ! ووقفت

محام "ابيض" امام احدى المحاكم فى شيكاغو يترافع عن المتهمين بقتل عشرات من الرجال السود يقول "انهم سلالة اقل نشأة ولا يحق لهم التمتع بالاحترام الذى يجب ان يتمتع به الرجل الأبيض"! وفى هذه السنوات الكالحة السوداء قام فى امريكا أول تنظيم للزنوج يدعو الى العودة الى افريقيا الوطن الأم .

وانتشرت بين السود الاغانى التى تبكى افريقيا وتتغنى بأيام الغابة العذراء ، وظهر الى الوجود أول تنظيم للمسلمين السود من هؤلاء الذين كانوا ينتمون فى الأصل الى دين الإسلام وسرعان ما انضمت اليهم جماعات اخرى كانوا قد اعتنقوا دين المسيح ، باعتبار ان مضطهديهم كانوا مسيحيين وينتمون الى نفس الكنيسة التى ينتمى اليها السود ! وظهر الأب الأسود يصرخ بأعلى الصوت ضد المجرمين البيض ، وصدرت اشعار جيمس ولدن ، وألف مستر جونسون "مانهاتن السوداء" وقام الن لوك بنشر ديوانه "الزنجى الجديد" وفى المسرح اضطلع شارلز جلين بدور البطولة فى مسرحية "الامبراطور جونز" وقام بول روبنسون بالدور الأول فى مسرحية "جميع ملائكة الله لها اجنحة" !

وعندما هبت عواصف الأزمة الاقتصادية فى بداية الثلاثينيات ، تشرد عدة ملايين من الزنوج ، وبينما كانت

الحكومة تغدق على العاطلين البيض تركت العاطلين السود فى اسوأ حال !

ثم جاءت الحرب العالمية الثانية وتغير كل شىء ، ولأول مرة صار هناك قباطنة من السود فى سلاح البحرية ، وتطوعت اربعة الاف سيدة زنجية فى الجيش النسائى ، وكذلك تطوعت الالوف من الفتيات فى فرق الترفيه عن الجنود ! واشترك بوجه عام اكثر من نصف مليون زنجى فى الخدمة العسكرية فيما وراء البحار !

وفى خلال سنوات الحرب العالمية الاخيرة انضم اكثر من مليون زنجى الى الوظائف المدنية ، وفى خلال اربع سنوات حقق الزنوج مكاسب اضعاف اضعاف ما حققوه خلال المائة عام الماضية ! وما ان حل منتصف القرن العشرين حتى كان الزنوج الامريكيون قد حققوا مكاسب عديدة ، ولأول مرة فى تاريخ الزنوج ، كان عدد الزنوج الذين يعيشون فى المدن ، اكثر من عدد المقيمين فى الريف ، واصبح هناك مليون زنجى على الاقل .. اعضاء فى النقابات العمالية ! كما كان هناك ألوف من الخريجين الذين منحوا درجات علمية ، انتهت الى ازالة سياسة التفرقة العنصرية داخل صفوف القوات المسلحة ، ومنح الزنجى حق الانتخاب والترشيح ايضا لعضوية المجالس النيابية .

ولكن هل صحيح انتهت التفرقة العنصرية داخل امريكا اليوم ؟ هل صحيح ان الرجل الزنجى صار مواطناً امريكيا من الدرجة الاولى ؟ الجواب بنعم بالنسبة للقوانين المكتوبة والسلوك الرسمى . ولكن الجواب بلا بالنسبة لما يدور بين الكواليس وفى الخفاء ومن رواء ظهر القانون الامريكى ! وقد يتقدم اليوم مائة زنجى لوظيفة ورجل ابيض واحد ، ولكن الاختيار سيقع على الرجل الابيض ، وسيقال لك أنه اثبت فى الامتحان الشفوى انه الوحيد الصالح للوظيفة ! والغالبية العظمى من نزلاء السجون من المواطنين السود ، ليس لانهم مجرمون بطبعهم ولكن لان جميع الابواب سدت فى وجوههم ، فلم يعد هناك الا باب الجريمة ! وجميع الاعمال المنحطة يقوم بها السود الآن ، والصياع والمتشردون والمتسولون والغالبية العظمى من البغايا والعاهرات كلهم من الزنوج ، والعالم السفلى كله يحكمه سود ، وتجارة المخدرات وحبوب الهلوسة يسيطر عليها السود ، وجميع الالعاب الرياضية للمحترفين يتحكم فيها السود ، والشارع الامريكى هو شارع الرجل الأسود ، ولذلك يخاف الرجل الابيض من الشارع ويحذر الاخرين من عواقب السير فيه ، ولكن تجربة العبد لله اثبتت انها خرافة ، وان الخوف هو فى داخل الرجل الابيض ، وان السود بشر كالآخرين ، بشرط الا تبدو متعجرفا ولا تنظر اليهم من طرف العين ، ولا تصافحهم باطراف الاصابع . أنا زرت

حى هارلم مثلا ، وجلست مع السود فى حاناتهم ، وعندما عرفوا اننى افريقى من مصر انهالت الدعوات على العبد لله ، وسلام مربع للافريقى الغلبان ، ودعيت الى العشاء مع اسرة زنجية فى حى السود فى مدينة "سنسناتى" فى اوهايو ، ودعتنى بنت سوداء الى العشاء فى الحى الصينى فى نيويورك ، وسهرت الليل معها اجوب شوارع نيويورك ولم يتعرض لنا انسان بسوء !

لقد نهض الرجل الأسود اخيرا لينتقم من سنوات الذل والجوع ، وأصبح الرجل الأبيض اسير خوفه ، ولذلك يهرع الى منزله بعد العاشرة ويغلق على نفسه الباب خوفا من شبح السود .. ترافق البنت البيضاء كما القشطة رجلا اسود وتسير معه فى الشارع بعد منتصف الليل ، بينما الرجال البيض لا يستطيعون الاستمتاع بالبنت السمراء الا فى الخفاء ! وان جهروا بالعلاقة تعرضوا لضرب المطاوى والموت بالرصاص ! لقد شهدت امريكا اليوم نوعا من التمييز العنصرى ، ولكنه يختلف عن التمييز العنصرى الذى كان معروفا ايام زمان ، فالرجل الاسود اليوم يستطيع التجول فى المدينة دون خوف ، والدخول فى اى مكان دون عوائق ، بينما الرجل الابيض وضع حول نفسه سورا لا يتعداه ، وهو يخاف العراك كما يخاف المنافسة فى المجالات التى يسيطر عليها السود .

واذا سار الرجل الأبيض فى الطريق العام بعد

العاشرة مساء راح يتلفت خلفه ، بينما الاسود ينام على الرصيف ويحلم احلام الملوك ! ولكن اعظم حركة الان بين السود هى حركة السود المسلمين ! وهم اكبر خطر على اللوبى اليهودى فى الولايات ، واكبر بعبع يخيف اليهود . وفى امكان هؤلاء ان يكونوا سندا للعرب ، وان يكونوا طليعة للفلسطينيين داخل الولايات ، وهم لا يحتاجون الا للدعم المادى ، ومهما بلغ حجم الاموال التى ستنفق عليهم فالمردود سيكون بالقطع اكبر من ذلك بكثير ، ذلك خير على الأقل من انفاق الأموال على موائد القمار ، وفى افراح ولا افراح الامير خماورية كما روت الصحف عن زفاف واحد اسمه محمد الفاسى تكلف عشرة ملايين جنيه وكانت فضيحة للعرب فى لندن !! وهؤلاء المسلمون السود يشتد عودهم الآن فى نيويورك نفسها ، معقل الصهيونية واليهود ، ويشاهدون بكثرة على نواصى الشوارع ويجمعون التبرعات ويبيعون العطور من اجل دعم حركتهم ودفعها الى الامام ، وكان هناك ثلاثة ابطال عالميين فى الملاكمة من المسلمين ، أمامهم هو محمد على والثانى هو سعد محمد ، والثالث اسمه مصطفى ولا اعرف اسمه الاخير ، وهناك مراكز اسلاميه للسود المسلمين فى فيلادلفيا وبنسلفانيا وجورجيا وشيكاغو وديترويت كما ان هناك مساجد انشئت فى عدة ولايات خاصة بالمسلمين السود . العيب الوحيد فى الحركة ان هناك اكثر من طائفة ، وهناك نذير بأن تنشب

بين الطوائف حرب ولا حرب البسوس . وعلى الازهر ان يوفد رجاله الى هناك لينسق بين الحركات الإسلامية ، فليس اكسب لقضية العرب من انتظام كل هذه الطوائف فى طابور واحد ، ولو حدث وقام جيش المسلمين السود الواحد فى الولايات المتحدة ، فسيكون ذلك اليوم هو بداية النهاية بالنسبة للنفوذ اليهودى فى بلاد القمر الصناعى والصواريخ ! .

ان قصة السود فى امريكا اسود من وجوههم ، ومسيرتهم اصعب من دخول الحمل في خرم الابرة ، وحكايتهم تحتاج الى موال ولا موال ادهم الشرقاوى ، ومأساتهم فى حاجة الى شاعرة كالخنساء لتبكى عليهم ! ولكنهم بالصبر والصمود واحتمال المعاناة استطاعوا ان يقهروا الصعب ، وان يقلبوا الاية ، وان يصبحوا ملوك الشارع الامريكي ، وان ينعموا بالليل فى بلاد العم سام ، بينما يختفي البيض وراء المتاريس والابواب ! ويكفى ان ثمانين بالمائة من ابطال امريكا في الرياضة من السود ، ويكفي ان عشرين فى المائة من ابطال الجيش الأمريكي من الزنوج ، واخيرا .. يكفي السود ان سبعين فى المائة من الفتيات البيض يحلمن بفارس اسود ! وتسعين فى المائة من الشبان السود يفوزون بقلوب بيضاء ، بينما واحد فقط فى المائة من الشباب البيض يفوزون بقلب اسود !! انها امريكا التى بدأت حمراء ثم بيضاء وانتهت

سوداء من غير سوء ، ويوما ما في الخمسين عاما القادمة سيصبح رئيس الولايات المتحدة رجلا اسود . ويستطيع العالم حينئذ ان يتنفس الصعداء ، وتكون نبوءة الشاعر الزنجى قد تحققت "انه ملاك اسود طويل القامة يسير مختالا فى الشارع الذهبى ، بينما الشارع الأبيض ينام فى الظلام" !!

عبادة الدولار !

هل تذكرون الأب جونز ، الأب المجنون الذى استدرج أتباعه إلى جزيرة نائية فى الكاريبى ، وأقنعهم بأن تناول السم والموت جماعة هو أقصر طريق إلى الجنة ، كان الرجل يؤمن بدين غريب ، فالحياة قصيرة ، والآخرة ممتدة ، وعلى الفرد أن يؤمن بأن الآخرة خير من الدنيا ، وليس أمام الإنسان ليبرهن على أنه يفضل الآخرة على الدنيا ، إلا بالذهاب إلى الآخرة طواعية واختيارا والانتحار هو خير دليل وهو أفضل برهان ، وطوبى للذين ينتحرون ، لأن ملكوت الله لا يتسع إلا لمن يموتون بأيديهم !

ومذهب الأب جونز ليس هو المذهب الوحيد الغريب فى أمريكا ، هناك مائة دين وألف مذهب وعشرون ألف طريقة ، وهناك جماعات تعبد الشمس ، وأخرى تسجد للقمر ، وثالثة تقدس الهرم ، وجماعة الهرم هؤلاء يؤمنون بأن هرم خوفو هو مركز الكون ، وأنك لو زحزحت الهرم من مكانه لاختل نظام الأرض ، وربما انطلق الكوكب الذى نعيش عليه فى الفضاء ليصطدم بالشمس ، وربما ضل طريقه وراح يسبح إلى يوم القيامة فى فضاء بلا نهاية

ولذلك فهم يذهبون كل عام إلى الهرم الأكبر ليؤدوا طقوسهم هناك ، يسألون رب الهرم أن يبقى الهرم مكانه ، وأن يحافظ عليه فى نفس المكان وبنفس المواصفات ، وأحيانا يستبد الوجد بأحدهم ، فيصعد إلى القمة ويلقى بنفسه سعيدا ليحظى بالميتة المثالية ، ويفوز بالنهاية السعيدة ، ويموت وقد تناثرت أشلاؤه على أحجار الهرم ! جنون .. ربما ، بلاهة .. يجوز ، ذكاء .. ممكن ، ولكنها الحقيقة ، ولذلك فهى مؤلمة ! فى أول لحظة للعبد لله فى الأرض الأمريكية ، ومن مطار دلاس فى واشنطن إلى قلب العاصمة ، رأيت محطة بنزين فى كنيسة ، أنكرت ما رأيت ، وسألت محدثى هل هذا ممكن ؟ أجابنى بأن فى مقدور أى مخلوق أن يستأجر كنيسة قديمة ، وفى استطاعته أن يستخدمها فى أى شىء ! يفتح فيها محلا للبقالة ، يقيم ملهى ليليا على أنقاضها ، يحولها إلى مرقص ، وهناك مئات من الكنائس فى أمريكا لقيت هذا المصير ، ولكن ما حدث لهذه الكنيسة بالذات ـ كما قال مرافقى ـ هو الوضع الصحيح والسليم ، لأن البترول هو الإله الجديد فى أمريكا ؟ !

وفى كلورادو جماعة دينية صغيرة ، عدد أعضائها هم عدد أعضاء الأتباع الذين أحاطوا بالسيد المسيح ، وكل فرد فى الجماعة يتسمى باسم واحد من الحواريين ، فهناك متى وبولس ويوحنا ، وبطرس وبرنابا ويهوذا أيضا ، وهم يختارون المسيح من بينهم مرة كل شهر عن طريق الاقتراع ، وهم يجتمعون ويؤدون الشعائر

والطقوس في كهف يمتد غائرا في بطن أحد الجبال المحيطة بمدينة دنفر ! وهم أثناء اجتماعاتهم يرتدون الثياب ويأكلون نفس الطعام ويستخدمون نفس الأدوات التي كان يستخدمها السيد المسيح وأتباعه ، وهم يقولون أن السيد المسيح كان يؤمن بأن القيامة ستقوم بعد ستة أشهر ، وكان قوله صحيحا ، ولكن الخطأ الوحيد الذي أرتكبه المفسرون ، هو أنهم توقعوا القيامة بحساب أهل الأرض ، ولكن المسيح كان يحسب بحساب السماء ، ويوم عند الله بألف سنة عند أهل الأرض ، ولذلك فالقيامة ستقوم كما تنبأ المسيح بعد موته بمائة وثمانين ألف عام ! ولاحظ الصلة بين ما يعتقدون وما جاء في القرآن الكريم : « ويوم عند ربك بألف سنة مما تعدون » ! هل قرأوا القرآن ؟ هل تأثروا بما جاء فيه ؟ لا أحد يعرف سر هذه الجماعة ، ولا أحد يستطيع أن يفتي في أمرهم لأنهم بلا كتب منشورة ، ولا أقوال مأثورة ، كما أنهم أشد صمتا من الجبل الذي يدخلون فيه !

وفي ولاية أريزونا جماعة دينية يتزايد عددها يوما بعد يوم ، وللجماعة وسيط هو راعي الجماعة وشيخها ، وأتباع مذهبهم يذهبون إلى الصحراء ويقيمون فيها شهورا ، ويؤدون صلاة على الرمل يسألون الله أن ينزل الأمطار ، وهم يأكلون الأعشاب ويشربون مياه الآبار ، وهم يحرمون أكل الأطعمة المحفوظة ، واللحوم المثلجة ، وهم يصلون والنار مشتعلة ، ويتعمدون في مياه النهر ، وتدخين الغليون حلال ولكن تدخين السجائر حرام ! وهم يعتقدون

في حياة أخرى بعد الموت ، ويؤمنون بأن الفردوس في السماء حيث الأشجار والمياه والصيد الوفير !

وهذه الديانة مأخوذة بتصرف من ديانات الهنود الحمر ، ولعل هذا هو السبب الذى من أجله يبدو « وسيط » الجماعة يرتدى خلال الاجتماعات الدينية تاجا من الريش !

وما أكثر العبادات والديانات فى أمريكا ، والسبب أن الحرية الشخصية مكفولة ، ومن حق كل فرد فى المجتمع أن يختار حكومته عند الاقتراع ، وأيضا من حقه أن يختار الهه ، بشرط ألا يفرض عقيدته على أحد ، أو يجبر أحدا على أن يعبد الهه ! وفى الآونة الأخيرة انتشرت البوذية والهندوكية بين الأمريكيين ، وظهرت جمعيات تطالب الحكومة بالسماح لها بإقامة معابد لعبادة الشمس ، وأخرى لعبادة الثعبان ، ولكن أغربها جميعا هى الجمعية التى لجأت إلى القضاء تطلب السماح لها بإقامة معبد لدين الاله أمون فرعون مصر القديم ، باعتبارها أول ديانة دعت إلى توحيد الله ، ولا تزال القضية مرفوعة أمام محكمة مدينة سكرامنتو عاصمة ولاية كاليفورنيا ، وقال لى واحد من الذين أطلعوا على ملف القضية وعرف شيئا من أسرار الجماعة ، أنهم يقيمون فى البرارى بعيدا على هيئة هرم مدرج يشبه هرم الملك زوسر فى سقارة ، وهناك حقيقة ثابتة وهى أن المكسيك صنعت مثل هذه الأهرامات وبكثرة فى فترة لاحقة على فترة حكم الملك زوسر الفرعون !

ومنذ عام على وجه التقريب لجأت ... الأسر في ولاية ميتشجان إلى الشرطة تطلب التدخل ... الجيران لوقف الازعاج المستمر الذى يسببه هؤلاء الجيران ، ويمنعون النوم عن أعين الناس فى الحى كله ، وذهبت الشرطة وعاينت الأمور على الطبيعة ، واكتشفت أن هؤلاء الجيران المزعجين دأبوا خلال الأشهر السابقة للشكوى على إقامة حفلات تشبه حفلات الزار فى بلادنا ، حيث تدق الطبول والدفوف ، وينطلق بخور له رائحة نفاثة ، وتتصاعد أصوات همهمة وغمغمة وكأنها صادرة من عوالم مجهولة ، وتدخلت الشرطة حينئذ وأجرت تحقيقا بالفعل لتكتشف حقيقة أغرب من الخيال ، فهذه الحفلات ليست حفلات زار ولا هى حفلات للترفيه ، ولكنها حفلات دينية لجماعة تعبد بطن المرأة ، باعتبار أنه المصنع الوحيد الذى يخلق الحياة ، ففيه تتكون الخلية الأولى للطفل ، وفيه يشب ويترعرع ، وخلال تسعة أشهر يصبح كائنا حيا يسمع ويرى ويصرخ أيضا ، ولذلك - فى شريعة الجماعة - ينبغى تقديسها والتوجه لها وعبادتها أيضا ، وقدمت الجماعة للمحاكمة لا لأنها تعتنق هذه الملة الغريبة ، ولكن لأنها تسببت فى إزعاج الجيران وهو الأمر الذى لا يغتفر ! !

ولكن أعظم الحركات الدينية التى تخالف الجو العام فى أمريكا ، هى حركة المسلمين السود ، وهى سموها كذلك لأن الذين دخلوا فى دين الله أفواجا كانوا فى البداية من الزنوج ، ولكن الحركة تطورت بعد ذلك فأصبح

هناك الوف من البيض يعتنقون الإسلام ، وهناك عدد آخر من الهنود الحمر وحوالى عشرة أشخاص ينتمون إلى جنس الاسكيمو ، والإسلام هناك يتقدم ببطء ولكن بإصرار ، وهو يكسب كل يوم أصدقاء جددا ولم يفقد واحدا من أتباعه قط ، وهناك مراكز إسلامية نشأت بالجهود الذاتية فى بنسلفانيا وأوهايو وكاليفورنيا وعدد آخر من الولايات هنا وهناك ولو مجموعة من الدعاة المسلمين العرب تفرغوا لهذه المهمة لدفعوا هذه الحركة مسافات طويلة إلى الأمام ! لأن الانقسامات داخل الحركة كثيرة ، والخلافات شديدة ، وينبغى التدخل لحصرها الآن قبل أن يفوت الآوان ! والسبب فى هذه الانقسامات أن الذين دعوا إلى الإسلام فى بداية الأمر ، كانوا من بلاد آسيا ، من بينهم من يعتنق القاديانية ، ومنهم من ينتمى إلى جماعة البهرة ، وفيهم من يعتنق المذهب الاسماعيلى ، وهذه الجماعات فى أمريكا صغيرة ولا تشكل خطرا فى الوقت الحاضر ، ولكنها قد تشكل خطرا فى قادم الأعوام ! ولكن الذى يطمئن أن الإسلام الحقيقى الصحيح هو الموجة الغالبة داخل الحركة الإسلامية فى أمريكا ، ولكن الجهود المبذولة حتى الآن فى هذا المجال جهود فردية ، بمعنى أن هناك تبرعات من رجال أعمال مسلمين ، وهناك مساعدات من دول عربية وأخرى إسلامية ولكنى أقترح الآن إنشاء هيئة إسلامية عربية عليا تشترك فيها كل الدول العربية ، تكون مهمتها التبشير بالإسلام ونشره والدعوة إليه فى جميع أنحاء العالم مع التركيز على أمريكا فى المقام الأول وافريقيا بعد ذلك ،

ولو قامت هيئة مثل هذه مدعومة بالمال والرجال والدعاة المخلصين ستجد أن الأرض ممهدة ، وهى فرصة ذهبية قد لا تعوض بعد ذلك ، خصوصا بعد أن طحنت المذاهب المادية ـ سواء فى الشرق أو فى الغرب ـ الإنسان العادى وتركته وحيدا وضائعا ومنسحقا فى بحار من الشك والحيرة والضلال ! ولذلك أخذ هؤلاء الناس يلجأون إلى أى شىء يحمى نفوسهم ولو كان كذبا ، ويهرعون إلى أى بريق ولو كان سرابا ، والسعيد الحظ منهم من اهتدى إلى الطريق الصحيح .. ساقتنى الصدفة إلى رجل أمريكى أبيض فى الخمسين من عمره ، كان يقرأ فى كتيب صغير يروى أحاديث النبى صلوات الله عليه ، والكتاب مطبوع طبعة أنيقة ومترجم بأمانة ، ومهدى من دولة الإمارات إلى المسلمين الذين لا يقرأون العربية ، كان الرجل « ماك ستيفن » مبهورا بما قرأه من الأحاديث ، هذا كلام رجل نطق به منذ أربعة عشر قرنا ، ما أروعه من فكر وما أرجحه من عقل ، هكذا قال « ماك ستيفن » الأمريكى الذى ينحدر من أصول اسكتلندية ـ استمع إلىّ فى انبهار شديد وأنا أعلق على حديثه « العقل كان راجحا والفكر كان رائعا ، ولكن لا تنس الإلهام ، فقد كان الرجل « رسول الله » تمتم « ماك » أعلم ذلك ، ولكن الرسول كان رجلا قبل ذلك ! وراح العم « ماك » عندما عرف أننى عربى ومن مصر يسألنى أسئلة الملهوف فى أمور الدين ، الكارثة أنهم يظنون ـ هؤلاء المسلمون الأجانب ـ أن أى عربى هو فقيه فى أمور الدين ، وأقول

كارثة لأن هذا الظن يفتح بابا أمام النصابين وينهالون على الناس فتاوى ما أنزل الله بها من سلطان كان العم « ماك » تواقا إلى معرفة كل شيء عن الإسلام ، لأنه وهو صغير في المدارس قرأ فصلا عن الإسلام في كتاب مدرسى وصف الإسلام بأنه ثورة التجار لفتح أسواق جديدة أمام التجارة !

وقال كتاب المدرسة الأمريكية أن « محمد النبى » كان تاجرا ، وكان طليعة طبقته لتحقيق هذا الحلم ! قلت للعم « ماك » الطيب : يدهشنى أن الأمريكان يكرهون كل شيء في الجانب الشيوعى ولكنهم في الإسلام يقتنعون ويروجون نفس التحليل الشيوعى ؟ !

قال : هل هذا تحليل شيوعى للإسلام ؟ لم أكن أدرك هذا من قبل ! قلت : هذه هى المصيبة يا صديقى الطيب ، لقد اختلف الذين يؤمنون بالمسيح والذين يؤمنون بالشيطان ، ودخلوا معركة ولا معارك البسوس ، ولكنهم ـ وهنا العجب ـ اتفقوا ضد الإسلام وعليه ! سألنى في براءة : ليه ؟ قلت : هذه مسألة تاريخية وقديمة ، عمرها من عمر الإسلام ، وعندما ظهرت حركة الإسلام الوليدة تحالفت عليها امبراطوريتان كبيرتان ، واحدة كانت تعتنق المجوسية ، والأخرى كانت ترفع الصليب ، وهم الذين أشعلوا الحرب في البداية ولم تكن دولة الإسلام قد قامت بعد ، وكانت معركة معان هى الخطوة الأولى ، ولولا إرادة الله لتمكنوا من الإسلام

ودفنوه وهو بعد فى المهد ! قلت للأخ « ماك » الطيب وقد فتح فمه دهشة ، وعندما انتشر الإسلام هبت أوربا كلها ضده ، وتحالفت كلها عليه ، ولا يزال الغرب المسيحى يحتفل بيوم معركة « شارل دى تور » كواحد من أعظم أيام التاريخ المسيحى إن لم يكن أعظمها على الإطلاق ، لأنه فى هذا اليوم انكسر القائد المسلم عبدالرحمن الغافقى ، وانحسر المد الإسلامى ، وحصروه فى الأندلس وحاصروه هناك حتى تمكنوا فى النهاية من طرده !

وفى العصور الوسيطة جاءت جيوش الغرب المسيحى لتهاجم الإسلام فى عقر داره ، واحتلوا الساحل العربى كله من اللاذقية إلى دمياط ، وتوغلوا فى البلاد حتى مشارف القاهرة ، وارتكبوا من الجرائم والمذابح ما يخجل منه الضمير ! ولكن أغرب شىء حدث تلك الأيام ، أن الغربى المسيحى الذى يؤمن بالله والمسيح واليوم الآخر ، تعاون بكل قناعة مع التتار الذين كانوا يعبدون الأصنام ، وتعاونوا معهم على الإسلام ، مع أنه دين سماوى يؤمن بالمسيحية ويحترم السيد المسيح كنبى من أنبياء الله ! وصمت الأخ « ماك » صمتا طويلا وعميقا ، وفى النهاية قال وكأنه يوصينى : ما أحوجنا إلى معرفة الكثير عن الإسلام !

وها هو الطريق مفتوح ، والفرصة متاحة ، والرغبة موجودة ، والامكانات وفيرة ، فقط علينا أن نبدأ بخطة

مدروسة ، وبرنامج واضح ، وبطاقم من الدعاة المخلصين ، وسنكسب فى النهاية ، لأن الإسلام هو دين العصر وكل عصر ، شىء آخر أحب أن ألفت إليه الانظار فقد ننفق ملايين الجنيهات فى سبيل الدعوة وقد نرسل ألوف الدعاة المخلصين وقد نكسب ألوف المؤمنين للإسلام ، ولكن تصرف مسلم عربى واحد قد يقضى على هذه الجهود ، ويضيبنا ويصيب الإسلام فى الصميم !
مثلا ، فى لوس أنجلوس كنت ضمن مجموعة من السائحين فى جولة حول هوليود ، وكان ضمن الجولة زيارة لحى الفنانين « بيفر لى هيلز » حيث تسكن جميلات الكواكب ومشاهير النجوم ، كان السائق يشرح للسياح خلال مكبر صوت ، وأشهد أنه كان متحدثا جيدا وخفيف الدم ووقحا فى بعض الأحيان ، قبل أن ندخل حى الفنانين سأل عبر الميكروفون : « هل يوجد بينكم عرب ؟ » لم يرفع أحد يده وأمسكت أنا الآخر عن رفع يدى فقد أدركت أن فى الأمر سرا ما ! عاد يسأل مرة أخرى ، هل بينكم أحد من المسلمين ؟ لم يرفع أحد يده وكذلك فعلت أنا الآخر ، وهنا قال : « عندئذ سأريكم شيئا تندهشون له غاية الدهشة وتعجبون له غاية الاعجاب » وانحرف بالسيارة إلى شارع عام ، وتوقف عند قصر منيف تحيط به حديقة مترامية ، ويحيط بالجميع سور حديدى غاية فى الرشاقة والأناقة والاحكام ، ولكن من ينظر إلى القصر من أول وهلة كان يدرك أن القصر أصابه التلف الشديد ، وزحف عليه الخراب ، وثمة آثار نيران

تركت بصماتها على جدران القصر وعلى أشجار الحديقة وعلى السور وامتد أثرها إلى أشجار الطريق وقال السائق وهو يشير نحو القصر هذا قصر الشيخ (..........) ولا داعى لذكر الاسم لأننا لانقصد التشهير ، استطرد السائق قائلا : إنه عربى (توقف عن الكلام وضحك) اشترى هذا القصر بمليونين من الدولارات ، وأضاف إليه ديكورات بسبعة ملايين ، وأحدث فى هذا المكان ضجة ولا ضجة الهنود الحمر لحظة بدء الهجوم وتظاهر سكان الحى ضد الرجل ، وطافوا فى مسيرة بالحى لم تتوقف إلا أمام مبنى البلدية ، وطالبوا رئيس البلدية بوقف الضجة أو طرد الساكن من الحى ، ولكن الساكن لم يتوقف ، وفى كل ليلة كان لديه حفلة فى القصر ، راقصات يحضرن بالطائرات من الشرق ، وأطعمة تحضرها الطائرات من مطعم مكسيم ، وضيوف تنقلهم الطائرات من جميع أنحاء الأرض ! وأخيرا لم يجد الجيران بدا من التصرف ، فأشعلوا النار فى القصر ، وأجبروا الإسلام على الرحيل ! ! انتهت .

ستقولون أنه سائق وقح ، وأنه ربما يهودى يكيد للعرب والإسلام ، وقد يكون هذا صحيحا كله ولكن الذى يستحق الحرق مثلا هو العربى المسلم الذى أعطى الفرصة لهذا اليهودى الجبان !

المهم ، ما أسهل الوصول إلى قلوب الناس بالإسلام ، خصوصا فى هذا الزمان الذى حطمت المادة فيه كل شىء فى الإنسان الأمريكى ، وسيكون الإسلام هو الراحة ، التى يلجأ إليها الرجل المكدود لينعم بالسكينة والسلام ، وكما قال لى كاتب أمريكى ساخر .

نصفها أسكيموا
ونصفها .. للأسف !

أمريكا هى بلد الرخاء والوفرة والشبع والامتلاء ، وهى أرخص بلد على ظهر الأرض لأنها لا تستورد شيئا من خارج الحدود إلا فى أضيق الحدود ، وأهم وارداتها النفط مع أنها منتجة للنفط ، ولكن الذكاء الأمريكى جعل الأمريكان يحتفظون بنفطهم بينما هم يستهلكون نفط الآخرين ، وعملية استيراد النفط من الآخرين عملية مربحة ، لأنهم يبيعون مقابل النفط سيارات أمريكية وثلاجات أمريكية وأسلحة أمريكية وتكنولوجيا أمريكية ويابخت من نفع .. واستنفع ! ولكن تبقى فى أمريكا سلعة واحدة عزيزة وغالية الثمن ، هذه السلعة هى المرأة الأمريكية ! وأصل الحكاية أنه عندما وفد المهاجرون الأوائل على الشاطىء الأمريكى كانوا ـ ولا مؤاخذة ـ من صنف القتلة والمجرمين ! وكان يشترط فيمن يريد الهجرة إلى أمريكا أن يكون شابا وقويا وقاسيا بالدرجة الكافية وقاتلا محترفا لأن الرحلة وقتئذ لم تكن بهدف السياحة ، ولكنها كانت بهدف السفاحة .. وهو المصدر الذى اشتق منه فعل سفح يسفح فهو سفاح ! ! لم تكن الرحلة سهلة ولا معبدة ولا ممهدة ، وكانت الأخطار تكمن فى كل شبر ، والبلاوى تترصد المهاجرين فى كل ركن ، وكان الشعار

المرفوع قاتل أو مقتول ! ولذلك خلت المراكب التى حملت هؤلاء المقامرين من صنف النساء ، وهكذا وجد المهاجرون أنفسهم بعد أن وضعوا أقدامهم على الأرض الجديدة فى نفس المجتمع الذى ألفوه .. مجتمع السجن ! سجن ولكنه هذه المرة مفتوح ، ولهم مطلق الحرية فى السجن الجديد بارتكاب جريمة القتل دون عقاب ، بل ربما نالهم الثواب والتقدير ، ولكن لم يكن معهم نساء ولا أطفال ، ولذلك أيضا حرص هؤلاء المهاجرون فى المعارك التى نشبت بينهم وبين قبائل الهنود الحمر على اختطاف النساء أحياء ، وكانوا يغتصبوهن بوحشية ، ويعبثون بأجسادهن بنذالة ، ثم يطلقون النار عليهن فى النهاية ، ويلقون بجثثهن فى العراء ! وعندما أحكم القتلة قبضتهم على أجزاء شاسعة من أراضى الهنود وشعروا بشىء من الاستقرار ، عندئذ جاءت المراكب وعليها بعض النسوة ، ولكنهن كن من نوع واحد وتم جلبهن لغرض واحد ، هو الترفيه عن «الأبطال» الذين فتحوا العالم الجديد ! وأقيمت هنا وهناك صالونات وفنادق وبارات ، كانت تقدم الغرفة مع البنت ، والمشروب مع النديمة ، وكان على من يريد أن يستأنس أن يدفع كثيرا ، فقد كان الطلب على ودنه والعرض قليلا ! ومن أجل الصراع على البنات ، ربما مات من البيض أضعاف من ماتوا فى معارك مع الهنود ! فما كان أسهل من سحب المسدس وإطلاق النار إذا وجد الفارس المتعطش أن هذا هو الطريق للفوز بما يريد ! وحتى خلال أيام البحث عن

الذهب ، كان البعض يذهب ويغيب فى باطن الأرض أياما وأسابيع ، ينقب بين الحجارة والتراب عن عروق الذهب المختفية هنا وهناك ، فإذا عاد إلى المدينة ، وضع كل ما عثر عليه من المعدن النفيس تحت أقدام غانية تلطخ وجهها بكل أنواع المساحيق ! وعندما جاءت النساء الفاضلات بعد ذلك ، كن متدينات حتى النخاع ، وكان مهرهن غاليا ، وكان لا يقدر عليه إلا أصحاب الدخول الكبيرة ، وأصحاب المسدسات السريعة ! وكانت المرأة في ذلك الزمان إذا رضيت بالرجل زوجا ، فهي شريكة له فى كل ما جنت يداه ، وفى كل ما يصل إليه بعد ذلك ، وأصبحت المرأة امبراطورة فى البيت وشريكة فى العمل ، وبعبع الرجل ، وشبحا يطارده فى كل مكان ! ويحتفظ تاريخ أمريكا بقصص حقيقية لنساء مدمرات ، ولكنها قصص أغرب من الخيال ، امرأة شابة فى دنفر فى ولاية كلورادو ، وهى واحدة من أجمل وأغنى ولايات أمريكا ، وتحيط بدنفر سلسلة جبال عظيمة تنساب منها شلالات عاتية ، ومن هذه الشلالات تتكون عند السفوح بحيرات أعظم ، وفى بطن الجبال كان يوجد يوما ما أغنى مناجم الذهب التى عرفتها أمريكا ، يقولون أن زوجة شابة كانت تسكن قصرا فى بنسلفانيا بوليفار حى الأثرياء فى دنفر بددت فى سبعة أعوام أرباح خمسة مناجم ذهب كان يملكها زوجها ، ولم يفعل زوجها شيئا سوى أنه صعد إلى قمة الجبل وألقى بنفسه من هناك ، وعثروا على جثته بعد ذلك فى إحدى البحيرات ! ويقولون أن سيدة من نيو

أورليانز راهنت برأسمال زوجها كله والبالغ مليون دولار فى المراهنة على سباق العربات التى تجرها الخيول ، ولم يعرف زوجها بالأمر إلا بعد أن فرت من المنزل ، وبعد أن أعياه البحث عنها فى كل مكان ، عاد إلى منزله فى نيو أورليانز ، ولزم الفراش صريع الحمى عدة أسابيع ، وعندما نهض من فراشه وذهب إلى البنك ليسحب بعض النقود ، اكتشف أن رصيده على المكشوف ، وسقط الرجل أمام موظف البنك مصابا بالذبحة ومات بعد ساعات ! !

وفى مدينة بافالو وهى تابعة لولاية نيويورك ، راهنت زوجة فى لعبة سخيفة تشبه لعبة ملك ولا كتابة ، حيث يلقى المتراهنون بقطعة نقود فى الهواء ثم يراهن كل واحد على وجه منها ، أقول راهنت الزوجة على قطيع جاموس كان يملكه زوجها وكانت هى شريكته بمقتضى الحق الالهى ، وكان معها تفويض من الزوج الشريك يخول لها حق التصرف والبيع وخلافه ، ولقد جاءت قطعة العملة على الوجه غير المطلوب ، وطار القطيع فى لحظة مع قطعة النقود الطائرة فى الهواء ، ولم تتمالك الزوجة السفيهة نفسها فانتحرت ، ولحق بها زوجها بعد ذلك إلى الآخرة ! ولكن هذه المرأة الأمريكية التى تتمتع بكل هذا الهيلمان والنفوذ لم تقنع بما هى فيه ، ظلت تحارب لكى توسع من دائرة نفوذها ، وظلت تكسب دائما ، حتى أصبحت ندا للرجل ، وأصبحت العصمة فى يدها ، ودخلت جندية فى الجيش ، وقائدة فى الأسطول ، وسائقة

فى السكة الحديد ، وعسكرى شرطة وهى موجودة فى كل وقت وفى كل مكان ورغم كل شىء ! ونهار أمه أزرق ويوم الذين أنجبوه أسود من قرن الخروب إذا أقدم أمريكى على تطليق زوجته ، كل ما يملكه يذهب نصفه إليها حتى البيت الذى يسكن فيه ، ولكن إذا طلبت هى الطلاق بدون أسباب إلا لأنها لا تطيقه أو لم تعد تستسيغه أو لأن دمه أصبح ثقيلا على قلبها ، ففى ستين ألف سلامة ، لأن الزوج لن يخسر فى هذه الحالة إلا الزوجة ، ولذلك ، ولأن التوازن غير موجود بين الرجل والمرأة ، ارتفعت نسبة الطلاق الآن إلى ستين فى المائة من مجموع الزيجات ، أى أنك ستصادف فى أمريكا بين كل عشرة نساء ، ستا منهن مطلقات ! التقيت فى كولورادو بامرأة مطلقة تعمل جرسونة فى بوفيه الفندق ، وكانت سمينة ولا بقرة فريزيان ، وحمراء اللون ولا بطيخة مصرى ، ومقبلة على الحياة ولا فتاة فى العشرين ! واكتشفت أنها عريقة فى التطليق ، وأنها طلقت مرتين فى المرة الأولى قالت لأنها اكتشفت أنها كانت صغيرة وكانت ساذجة ، وفى الثانية لأنها أصيبت بالضجر ، فقد كان زوجها مندوبا تجاريا لإحدى شركات الأدوية ، وكانت وظيفته هى السفر بلا انقطاع بين الولايات لتسويق انتاج الشركة ، واكتشفت أنها إذا بقيت حبيسة فى جدران البيت فسيمضى العمر دون أى شعور بالسعادة ، ودون أى مشاركة حقيقية فى الحب ! وعندما تم الطلاق ـ حسب رغبتها ـ أخذت معها أولادها بعد أن تعهدت بكفالتهم ورعايتهم إلى نهاية

العمر ، ثم غادرت الولاية التى كانت تقيم بها وجاءت إلى كولورادو واشترت بيتا ، وألحقت أولادها بالجامعة ، وتفرغت هى لمهنتها كجرسونة فى النهار ، ولبيتها فى الليل ! وهى بهجة تكلفها الكثير ، لأنها تنتقل كل ليلة من سرير إلى سرير ومن أحضان رجل إلى أحضان رجل آخر ، وهى ترمى شباكها على هؤلاء الذين يمرون فى كولورادو وفى زيارة عابرة ، والغريب أعمى ولو كان بصيرا ، وامرأة جرسونة وسمينة فى ليلة غربة خير من لاشىء ! ولقد دعتنى على الغداء فى بيتها ولبيت الدعوة ، واكتشفت أنها تسكن فى ڤيللا تحيطها حديقة مزروعة بالورد ومغروسة بأشجار التين والتفاح وأنواع أخرى من الفاكهة ، وأولادها بنت فى الجامعة وولد فى المرحلة الثانوية ، وبنت تعمل فى شركة طيران أوريانت ، وولد آخر هجر البيت منذ زمن بعيد ورحل بعيدا إلى ولاية فى الشرق ! والبنت التى فى الجامعة على علاقة بولد عربى اسمه عبيد وهى تعلق صورته فى غرفة الصالون ، والبنت الموظفة تعيش مع رجل يعمل معها فى الشركة ، تعيش هكذا فهى لا تؤمن بالزواج ، وتعتقد أن الزواج اختراع بشرى ثبت فساده ! والدليل على ذلك هو المصير الذى انتهت إليه أمها ، وكذلك مصير غالبية النساء اللواتى يسكن فى الجوار ! واكتشفت أنا أن فى الشارع الذى تقطنه الست الجرسونة أكثر من مائة امرأة مطلقة ! !

وفى لوس أنجلوس التقيت فى فندق هيلتون ببنت

نصفها اسكيمو ونصفها أمريكي للأسف ، وهذا التعبير « للأسف » ليس من عندى ، ولكن حقوق النطق محفوظة للبنت اياها ! والبنت النص نص أشهد أنها طرية كما قطعة الجاتوه ، شهية كما طبق المهلبية ، فاتنة كما الصباح الجديد ، وهى تشتغل بالأعمال الحرة وجمالها هو رأسمالها ، وشبابها هو تجارتها ، وهى ليست آسفة ولا نادمة ، فهى امرأة أعمال ، وإذا كانت الأعمال بالنيات ، فهى أحيانا بالأرداف ، وهى تكسب ١٥ ألف دولار شهريا ، تدفع منها خمسة آلاف للمافيا ، وهى التى تدبر كل شىء فى العالم السفلى ، من أول نوادى القمار إلى العاهرات فى الفنادق الكبرى ! البنت الاسكيمية الأمريكية جربت الزواج مرة واحدة ثم أعلنت توبتها ، وليه يا بتاعة الاسكيمو ، لأنها لا تستطيع أن تقبع فى البيت فى انتظار رجل خرج للعمل ! ! ثم هى تحب الفلوس ، والزواج طريق إلى الفقر ، وهى طموح والزواج يقتل الطموح ، وهى موهوبة والزواج مقبرة للعبقرية ! والبنت أمها كانت من صنف الاسكيمو وأبوها كان أمريكيا ينحدر من أصول ألمانية ، وعندما تزوجت اختارت رجلا من أصل هولندى ، كان يثرثر كثيرا وهو جالس على مائدة العشاء ، وينام وهو جالس أمام التليفزيون ، وذات صباح نهضت من الفراش وتركته مع شخيره وأحلامه وهجرت البيت وطلبت الطلاق ، هكذا ببساطة وبلا مقدمات ، وهكذا أيضا أقسمت برأس أمها ، أن زوجها الهولندى سيكون هو زوجها الأول والأخير !

وستجد مئات وألوف من النساء يتجولن ضائعات بين الولايات ، فالبنت بعد السادسة عشرة حرة تعيش مع أمها إذا أرادت ، تفارق أهلها إذا شاءت ، تتزوج إذا رغبت ، تطلب الطلاق إذا خطر لها ذلك ، وعندما زاد الشىء عن حده انقلب إلى ضده ، وأصبحت المرأة الأمريكية المطلقة أرخص من السيجارة ، وهى أرخص من عقب سيجارة إذا كانت قد فارقت سن الشباب ، انتهى العيد الذهبى للمرأة ، حين كانت امبراطورة فى البيت ، وشريكة فى العمل ، ونادرة مثل القطع الذهبية ! ولم يعد للمرأة الآن إلا بعض القشور ، وهى للاستهلاك القومى فقط ، وللزينة وللرسميات .. مثلا ، لا يستطيع رئيس أمريكى أن يتقدم ويطلب من الجماهير انتخابه إلا إذا كانت معه امرأة متعلقة بذراعه ، وهو عليه أن يربت على خدها ويمسح على شعرها أمام الجماهير ، وهى عليها أن تفتح فمها عن ابتسامة متفائلة ، وقد يذهب كل منهما بعد ذلك إلى البيت الأبيض أو البيت الأصفر ، ليرفع كل منهما عقيرته بالصياح فى وجه الآخر ، نفس الشىء ينطبق على المحافظين وعلى أعضاء مجلس النواب ومجلس الشيوخ ، وهؤلاء النواب سيجوبون دوائرهم الانتخابية مع زوجاتهم يلوحون للجماهير ويبتسمون للأطفال ! وبعد الانتخابات سيهرب هؤلاء المحترمون من الشيوخ والنواب إلى العاصمة تاركين زوجاتهم فى دوائرهم الانتخابية حتى موعد الانتخابات التالية !

لقد أخذت المرأة الأمريكية حقوقها كاملة وهى تدفع الثمن الآن ، تدفعه من أعصابها ومن وقتها ، ففى وسائل المواصلات أراهنك إذا صادفت أمريكيا واحدا يخلى مكانه لامرأة ، ويحذرونك إذا كنت مسافرا علىٰ الطرق السريعة من خطر التوقف لنجدة رجل أو امرأة ، نعم أو امرأة ، ولو كانت وحيدة ، فما الفرق بين الرجل والمرأة ، وإذا كان هناك احتمال أن يكون الرجل من عتاة المجرمين ، فالاحتمال وارد بالنسبة للمرأة أيضا ، لقد أصبحت المرأة بعضلات ولها شوارب ، وبعض النساء كان لهن ذقون كالمأسوف على ذقنها جولدا مائير !

ولقد حصلت المرأة فى أمريكا على حريتها ، ولكنها حصلت فى الوقت نفسه على تعاستها ، وشهدت أمريكا فى السنوات الأخيرة أسوأ وأردأ ألوان الجريمة والتعاسة والضياع من صنوف النساء ، ولكن هذه رواية أخرى ، وسنرويها لكم على كل حال .

حضرة صاحب العصابة !

كان فى تليفزيون الولايات المتحدة فى تلك الأيام برنامجا عظيما أرجو أن تبثه محطات التليفزيون تبعثا أكثر من مرة هذا خير من مسلسلات زوزو وحلقات خنجر فى الظلام ، وأفلام مغامرات الرجل العنكبوت !

البرنامج العظيم الذى كان يعرض فى حلقات على امتداد الولايات المتحدة يحكى قصة أمريكا خلال المائة سنة الأخيرة ، وهو عمل فنى يدعو إلى احترام الأمة الأمريكية ويشير إليك نحو الطريق الذى يجب أن تسير فيه الأمم لتحقق لها مكانا لائقا تحت الشمس أنا نفسى كنت أعرف مادة الحلقات ، قرأتها قبل ذلك فى كتب عن أمريكا ، ولكن القراءة شىء وتجسيد الواقع فى عمل فنى رائع شىء آخر ، ها هى أمريكا بلحمها ودمها تنتصب واقفة أمامك عارية تماما وصور الحياة تتراءى لناظريك منذ الربع الأخير من القرن الماضى وبيوت الخشب وحنفيات المياه المتصلة بآبار ، وفرن كفرن المرحومة ستى ينفث دخانا أكثر مما ينفث نارا ولكن الكل يعمل بلا كلل ، حتى النساء والأطفال العرق يتصبب من جباه الجميع فى الحقول وفى المصانع والكل يجوعون مرة ويشبعون مرة ، والجميع على باب المولى الكريم ،

ويسألون الله الستر وحسن العاقبة ، وكان الرعب يسيطر على الجميع ، فالعصابات هى سيدة الموقف والمسدس هو القانون ، وأهل القرى البعيدة لا يعرفون متى يأتيهم الموت وكانت العصابات تهاجمهم بغتة أحيانا مرة كل أسبوع أو مرة كل يوم أو مرة فى الصباح ومرة فى المساء ، وحدث فى أحيان كثيرة أن أبيدت قرى بأكملها ، أو تم القضاء على صنف الرجال فيها ولم يكن هناك قانون موحد لمواجهة أعمال الإجرام ، بل كان الأمر كله يخضع فى النهاية لشخصية القاضى ، وأحيانا كان يوجد قضاة أصلهم لصوص يتحدون مع العصابات ضد المواطنين ، وأحيانا كان من بين القضاة من هو أضعف من مواجهة عصابات شرسة ومسلحة ، وكان هؤلاء القضاة يعقدون الجلسات ، ويجلسون وراء منصات القضاء وبعد نظر القضية والمداولة ، كانوا يصدرون أحكامهم بتبرئة المجرمين وكان المجنى عليهم يحمدون الله لأن القاضى العادل لم يوقع الجزاء عليهم ! ومع عصابات القتل والاجرام تأسست عصابات أخرى ولكن من نوع آخر قامت هنا وهناك شركات احتكارية ، تمد خطوط السكك الحديدية ، وتستخرج النفط ، وتجمع المحاصيل ، وتسيطر على قطعان الماشية ، وتضع علاماتها المسجلة على ملايين الأفدنة لزرع صنف معين ومطلوب ! وكانت عصابات المال تستأجر وتستعين بعصابات القتل وهؤلاء كانوا يوجهون ضد الفلاحين الذين يرفضون بيع أراضيهم ، أو يغالون فى ثمن الأرض وبينما ظهرت أعداد

لا حد لها من أصحاب الملايين بقيت طبقة عريضة من الأمريكان من أصحاب الفقر ، وكان هؤلاء يتجولون في جماعات عبر الولايات لجمع المحاصيل أو زراعة الأرض وكثير منهم كانوا يسقطون مرضى بالسل ويموتون فى النهاية دون أن يعنى أحد بمجرد دفنهم ! وعندما هبت موجة البحث عن الذهب في ولايات الجنوب وخصوصا فى ولاية كاليفورنيا ، اندفع مئات الألوف من الناس نحو الجنة الموعودة ، يبحثون فى الأنهار الجارية ، وفى أعماق الصحراء ، وفى باطن الجبال عن المعدن الذى خطف أبصار الناس وخطف عقولهم وتسبب ذلك الجنون - جنون الذهب - فى خراب أمريكا فقد تركت قطعان الماشية تهيم وحدها فى البرارى ! وتركت ملايين الأفدنة مزروعة بأجود المحاصيل دون أن يهتم أحد بحصدها ونفقت ملايين الرءوس من الضأن لأنها لم تجد من يرشدها إلى مجارى المياه ، وجفت الأرض وماتت ، وأصبحت أمريكا على شفا هاوية ! ولكن ميزة الشعب الأمريكى أن الضربة التى لا تقتله تزيده قوة ، وان المحنة تزيده لمعانا فسرعان ما ينهض على قدميه مرة أخرى ليعاود السعى من جديد ! الأمريكيون هم أول من اكتشفوا النفط وكانت ملايين الاطنان من النفط تشاهد عائمة تسبح مع التيار المنحدر مع المصب ، ولكن أحدا منهم لم يفهم فى ذلك الوقت سر هذه الظاهرة الغريبة ، وظنها البعض أنها مياه قذرة من مخلفات الانسان مختلطة بالطين ، وأفتى البعض الآخر ربما كانت من مخلفات

بركان ثار وخمد دون أن يدرى به أحد ! ! ولكنهم لاحظوا بعد فترة أن النار تشتغل على سطح النهر إذا ألقى أحدهم فيه مخلفات غليونه ، المهم أن أحد الأمريكان راح يعبىء هذا السائل الغريب فى زجاجات ويبيعها لأهل القرى المجاورة باعتباره دواء لروماتيزم المفاصل ، والأغرب من ذلك أن الناس كانت تشعر بتحسن فى الصحة بعد فترة من استعمال هذا « العقار » ! ! ثم ما لبث القوم أن اكتشفوا قيمته كوقود ، وهنا نشطت شركات الاحتكار ، وراحت تستحوذ على أكبر كمية من الآبار وتبيع أكبر كمية من الكيروسين وكان أعظم المحتكرين هو المليونير روكفلر ، عميد عائلة روكفلر الشهيرة فى تاريخ أمريكا ، وفى تاريخ شارع المال ! وكما قامت شركات النفط قامت شركات السكة الحديد وشركات الفواكه وشركات اللحوم وشركات النسيج وشركات الأخشاب وتكونت الرأسمالية الأمريكية الحديثة ولكن على طريق كان مشحونا بالعرق وأحيانا ملطخا بالدم ! وفى بدايات هذا القرن العشرين تم اكتشاف اختراع السيارة ثم الطيارة وقامت شركات لهذه وتلك ودخلت أمريكا فترة رخاء لم تشهد مثلها من قبل ! وانتشرت حمى تشييد المدن وشق الطرق وبناء القصور الفخمة وتكونت فى الولايات المتحدة أغرب وأعجب وأغنى طبقة حاكمة عرفها تاريخ العالم ، وسيطرت عدة عائلات على كل شىء من الحديد والصلب إلى التبغ ، واستخدمت لفرض نفوذها وتثبيت أقدامها كل شىء وأى شىء من الرشوة إلى القتل

ومدت نفوذها إلى دور الصحف لتكون لسان حالها ، واستأجرت عصابات لتكون ذراع حالها ! وبدأ فى لحظة من اللحظات أن العالم كله لابد من أن يخضع لهذه القوة الجديدة وأن ينقاد لها !

ولكن ، ولأن الطبيعة لها قوانين ، وأحد هذه القوانين يقول : كل حركة لها رد فعل مساو لها فى القوة ومضاد لها فى الاتجاه ! فلم يكن ملوك الصناعة والتجارة والتهريب والتهليب يستريحون على عروشهم حتى ظهرت فى الأفق طبقة جديدة صاعدة من أسفل وضاغطة بالحاح . كانت الطبقة العاملة فى أمريكا قد تكونت خلال عصور القحط وسنوات الشقاء ولكنها كانت مكسورة الظهر محطمة الاضلاع ثم ازدهرت مع بداية الازدهار وكان يمكن للحركة العمالية أن تنمو ببطء وأن تتطور فى هدوء لولا أن رجال المال الأمريكان اهتدوا إلى أعجب نظام مالى فى التاريخ وبقدر ما كان النظام الجديد خيرا وبركة على رجال المال والأعمال كان شرا ووبيلا على طائفة المستهلكين وطبقة العمال وكان النظام الجديد يهدف وببساطة إلى تجميع وتوحيد كل الشركات ذات النوعية الواحدة فى شركة احتكارية ، وكان قيام مثل هذه الشركة يمنحها امتيازات أقلها خفض النفقات وتحديد أجور العمال وأهمها فرض الأسعار على النحو الذى يحقق أقصى أرباح طافت بخيال أصحاب رأس المال ! وكانت شركة « ستاندرد أويل » أول من ارتاد هذا الطريق ، وفى الوقت الذى كان فيه منتجو البترول فى بنسلفانيا

مشغولين حتى الآذان فى منافسة دموية ، كان ثمة شاب هادىء رزين من رجال الأعمال فى ولاية أوهايو ، ينهمك فى هدوء وبدون ضجيج فى شراء معامل التكرير فى الولاية ويضمها فى شركة واحدة ومضى روكفلر منتهزا فرصة ذهبية سنحت له وسيطر على معامل التكرير فى كليفلند ، ثم واصل سعيه فسيطر على معامل التكرير فى نيويورك وفيلادلفيا وبتسبرج ، ثم امتدت سيطرته على خطوط الأنابيب ، ولم تمض عشر سنوات حتى كان روكفلر قد سيطر تماما على كل معامل التكرير وخطوط الأنابيب فى الولايات وتكونت من هذا المجهود الشاق شركة « ستاندرد أويل » وكانت أول شركة احتكارية فى التاريخ !

وبقيام شركة ستاندرد أويل انفتح الطريق أمام الرجال ذوى الإرادة الحديدية والطموح اللامحدود فكونوا عشرات من شركات الاحتكار فأنشأ أرمور وبعض الشركاء شركة لحوم العجول ، وسيطرت جماعة جوجنهايم على مناجم النحاس في أريزونا وأنشأت أسرة ديوك شركة للتبغ وما أن حل العام ١٩٠٤ حتى كانت بعض شركات الاحتكار تسيطر على مصالح تبلغ قيمتها ٢٠ بليون دولار بقيمتها فى ذلك الوقت وتكونت طبقة من المساهمين والمديرين فاقت سلطاتها وثرواتها سلطات وثروات الأمراء والملوك وأصبح المواطن الأمريكى يعيش حياته مربوطا إلى امبراطورية هؤلاء القياصرة الجدد ! وبفضل شركات الاحتكار توحدت خطوط السكة الحديد

مما أتاح لها خدمات أفضل ولكن أكبر الضربات الناجحة فى عالم الاحتكار كانت فى مجال البنوك ، وكان بيت مورجان هو أعظم هذه البيوت وأقواها على الاطلاق وفى بداية هذا القرن لم يكن هناك مشروع اقتصادى أو صناعى فى الولايات المتحدة ليس لبيت مورجان علاقة به ، وبلغ رأسمال مورجان ٢٥ بليون دولار ! مما دفع الرئيس الأمريكى ويلسون إلى القول بأن أعظم احتكار فى هذه البلاد هو احتكار المال ! ! ولكن هذا التضخم الرهيب والمخيف لشركات الاحتكار جعل الحكومة الأمريكية نفسها تشعر بالخوف من هذه الشركات التى أصبحت حكومة داخل الحكومة بل ان سلطتها فاقت سلطة الحكومة وأصبحت تملى عليها سياسات معينة ، وتفرض رغباتها على السلطات التشريعية نفسها ، وكان الخوف الذى انتاب الحكومة الأمريكية قد تسرب إلى نفوس الملايين من الأمريكيين عندما نظروا حولهم وشاهدوا أن معظم مصادر الثروة الطبيعية والصناعات والسكك الحديدية والمنافع الأخرى كان يسيطر عليها حفنة من الرجال لمصلحتهم الخاصة وليس لمصلحة المجتمع ، بدأوا يشكون فى أن الديمقراطية يمكن أن تبقى وتدوم فالنفقات الباهظة والتمييز فى العمالة واغتصاب الأراضى جملة والأساليب السيئة التى اتبعها روكفلر ، وكارنيجى فى سحق المنافسين ، والقوة الوحشية التى كانت تستخدمها الشركات الضخمة فى قهر العمال واخضاعهم ، ومحاولات محامى تلك الشركات

وهم يبحثون عن ثغرات فى التشريعات الموجودة ، وتحايلهم على النظم الضريبية ، كل هذا أثار موجة من الرعب فى القلوب ، وأشاع الأسى فى نفوس الجميع ! وهبت حكومات الولايات تضع القوانين التى تحظر قيام شركات الاحتكار ، وتقدم المليونير « بيتر كوبر » للترشيح فى انتخابات رئاسة الجمهورية على أساس برنامج « العملة الورقية الخضراء » يحذر من أن الخطر الحالى على نظمنا الحرة لا يقل شأنا عما كان هناك من خطر فى بدء الثورة .. ! ! كما أطلق صيحته المعروفة « أن أرستقراطية تقوم على أساس المال هى أسوأ أنواع الارستقراطيات » ونفس الاحساس بالخطر دفع الرئيس « كليفلند » إلى الصراخ عاليا : « إن الشركات الاحتكارية التى كان ينبغى أن تكون مخلوقات تخضع للقانون وتخدم الشعب ، أصبحت بسرعة أسيادا للشعب ، وفوق كل النظم والقوانين والتقاليد والأعراف » ! ! وتوالت القوانين لتنظيم الأحوال فى البلاد وكان أخطرها قانون « أن أى ممتلكات تتصل بالمصلحة العامة أو مخصصة لمنفعة الجمهور تكون خاضعة للتنظيم بواسطة الحكومة » ! !

وكان المغزى وراء هذه القوانين والدرس الذى يجب أن نتعلمه جميعا ، أن التنظيم ليس ضد الديمقراطية وأن تدخل الحكومة مطلوب حتى فى ظل أعظم النظم ديمقراطية وفى مجتمع هو أكثر المجتمعات حرية لأن ترك الأمور تسير حسب المزاج ووفق مصالح الأشخاص

تنتهى حتما إلى فوضى لا يعلم مداها إلا الله وإلى ثورة قد لا تستطيع أقوى الحكومات فى العالم على مواجهتها ، ليتنا تعلمنا من التجربة الأمريكية ما ساعدنا على تنظيم عملية الانفتاح ولا أعتقد أن هناك انفتاحا أكثر من الانفتاح الأمريكى ولا رأسمالية أعظم من رأسمالية أمريكا ولا مكاسب « على ودنه » قدر المكاسب فى السوق الأمريكية ! ! ولكن كان لابد من التنظيم ومن وضع اللوائح والضوابط وإلا تحولت هذه الشركات الاحتكارية إلى غول يأكل الوطن حسب تعبير أحد زعماء نقابات العمال الأمريكية الذى قال : « لقد حلت الشركات الاحتكارية محل العصابات وصار أخطر الخارجين على القانون هو حضرة صاحب العصابة المدير » ! !

ولكن شركات الاحتكار الكبرى سواء بعد التنظيم أو قبله كان لها الفضل المباشر فى خلق طبقة عمالية كبرى فى الولايات المتحدة فبدون قيام هذه الشركات لم يكن ممكنا حشد كل هؤلاء العمال فى ظل شركة واحدة وبقدر تضخم الشركات الاحتكارية كان تضخم عمالها أيضا وكانت المفارقات الضخمة سببا آخر فى تطور الحركة العمالية لقد كان العمال طرفا أساسيا فى نمو الأعمال الضخمة ولكنهم كانوا طرفا مهملا عند تقسيم الأرباح وكان أغلبهم يعملون فى ظل ظروف شديدة القسوة داخل مصانع شديدة الحرارة وتتسم بالضوضاء وفساد الهواء وكانت إصابات العمل من المسائل العادية التى لا توليها الإدارة أدنى اهتمام وحتى حوادث الموت بسبب العمل

كانوا يدفعون مقابلها تعويضات تافهة لا تكفى مصاريف الجنازة وخارج المصانع كان العمال يتكدسون فى أحياء قذرة ولم يكن للعمال ممثلون فى المجالس التشريعية إلا عددا أقل من القليل ، ولم يكن هذا العدد كافيا لإعلان رأى الطبقة المسحوقة أو الحصول على مكاسب لها ! وخلال الفترة من عام ١٨٧٠ إلى عام ١٩١٠ تدفق أكثر من عشرين مليون مهاجر للبلاد ، وكان كل هؤلاء فى لهفة للعمل فى المصانع والمناجم ومهما كان الأجر وتحت أى ظروف وبسبب تدفق الهجرة ازداد الهبوط فى الأجور والهبوط فى المستويات وانتهى الأمر باتحاد العمال إلى الشلل التام وبالرغم من تلك الظروف التعسة فقد كافح العمال ببسالة وخلال ربع قرن كان أول الاضرابات التى قام بها هؤلاء بلغت ٣٧ ألف اضراب وكان نتيجة هذا النضال المستمر حصول العمال على معظم حقوقهم فى عام ١٩٠٠ وقبيل بدء الحرب العالمية الأولى كان محظورا تماما فى كل الولايات المتحدة استخدام الأحداث فى المصانع ، كما حصلت النساء العاملات على حق اجازة الحمل .

.. وإذا كان الأمريكى الأبيض هو فتوة العالم ، وهو الذى يلقى الرعب فى قلوب أهالى الكاريبى ، بنفس القدر الذى يلقى فيه الرعب فى قلوب اهالى بحر الصين ، والسبب أنه فتوة من نوع جديد ، فهو لايلوح فى يده بشومة تكسر الأدمغة والضلوع ، ولكنه يتسلح بقنابل ذرية وقنابل هيدروجينية وقنابل نظيفة تمسح صنف

البشر ، ولكنها تبقى على الجدران وعلى أرصفة الشوارع ! ولكن حكمة الله أنه في داخل أمريكا نفسها يعيش الأمريكي الأبيض كالفار المسلوخ ، وصنف البورتوريكو هو بعبع الأمريكي وعفريته الأزرق ، وهؤلاء العيال وارد بورتوريكو وهم ملوك أمريكا بلا منازع ، وهم يعملون في أحقر المهن . كخدم في الفنادق وعمال في البارات وحراس للمباني وصياع في الميناء ولكنهم في الشوارع أصحاب جلالة وسعادة ومقام رفيع . ويكفي ظهور بورتوريكو واخد فيلزم الجميع الأدب ، حتى الزنوج يحسبون ألف حساب للبورتوريكي الطيب ، لأن يده كالمطرقة وسلاحه الأبيض يسبق لسانه عند المناقشة والحوار . وسيىء الحظ من يختلف مع البورتوريكيين . لأنهم يعيشون في أمريكا وكأنهم في عصر القبائل وعندما تنشب المعركة يتنادون للقتال وعندما يصيح أحدهم وابورتوريكاه ستزحف جحافلهم من الحوارى والأزقة ومن فوق الأسطح ومن تحت الأنقاض وفي بورتوريكو حركة وطنية ثورية تطالب بالاستقلال وتعمل طلائعها تحت الأرض داخل الولايات المتحدة ، تفجر الطائرات في الجو ، وتنسف القواعد العسكرية في الأرض ، وتثير الرعب والذعر في قلوب قادة البنتاجون . وبرغم المخابرات المركزية والمخابرات الفرعية ، وبرغم العقول البشرية والعقول الالكترونية ، لم تستطع السلطة الأمريكية الكشف عن تنظيم بورتوريكو الثورى ولا حتى القبض على أحد أفراده ، بالرغم من أن التنظيم يعمل

داخل الولايات المتحدة منذ أكثر من عشر سنوات ، ويعمل فى حفظ الله وسلامته ! وإذا كان البورتوريكو هو البعبع رقم اثنين ، ويأتى الايطالى بعد الزنجى . وهؤلاء الطليان هم أول من أدخلوا الجريمة المنظمة فى أمريكا ، وأول من أسسوا عصابات المافيا ، وفرضوا من خلالها الذعر والرعب فى كل الولايات ، وجاء يوم على أمريكا كانت عصابات المافيا هى الحكومة الحقيقية هى التى تتحكم فى انتخابات الرياسة ، وهى التى تمهد الطريق أمام السيناتور للوصول الى الكونجرس ، وهى التى ترسم السياسة للوزراء ، وهى التى تجلب المخدرات من خارج الولايات الى داخلها ، وهى التى تسيطر على كل شىء فى البلاد وتشترى الشرطة والصحافة والنواب . ويأتى المكسيكى بعد الطليانى ويحتل الهندى الأحمر ذيل قائمة الأصناف التى يخافها الأمريكى الأبيض ، ولكن صنف الأمريكى الأحمر نادر ، وبعضهم لايزال يحمل روح التحدى ويسعى للثأر ، ولكن أغرب شىء اكتشفته فى أمريكا هو أن العربى اليمنى هو بعبع جميع الأمريكان فى مدينة ديترويت . وهناك ستجد اليمنى أمامك فى كل مكان . فى المصانع . فى المزارع . فى الشوارع ، ولو تنظيم جيد هناك يجمع العرب وينسق بين مصالحهم ، إذن لاستطاعوا السيطرة على مجريات الأمور ، وربما استطاعوا أن يدفعوا بممثليهم الى منصب محافظ الولاية والله على منظر اليمنى وهو يتمشى افرنجى على أرصفة ديترويت فى المساء بملابس اليمن التقليدية ، الملابس

المزركشة والعمامة الملفوفة بعناية والخنـ . ..ى يتوسط الحزام . وأبناء اليمن هم انشط جاليه بة على الاطلاق . منهم العامل الذى يطفح الدم من طلوع الشمس إلى طلوع النجمة ، والتاجر الذى يتخاطب بالتلكس عبر البحار ، وما أكثر العرب فى أمريكا ، ولكن ما أكثر مشاكلهم ، وأعجب شىء أن العرب ـ كما فى خارج بلادهم ـ شعوب وقبائل ، ليس ليتعارفوا ، ولكن ليتقاتلوا ، أيامهم ولا يوم داحس والغبراء ، وحربهم ولا حرب البسوس ، وليس أشرس ولا أتعس من الحرب الدائرة بين العرب والعرب داخل الولايات المتحدة الشيوعى ضد البعثى ، والبعثى ضد الناصرى ، والناصرى اليسارى ضد الناصرى اليمينى ، والتقدمى ضد الرجعى ، والرجعى ضد الوطنى ، وأعضاء الجماعات الاسلامية ضد الجميع ! ولو نصف الحرب الدائرة الآن بين بعض العرب والبعض الآخر ، لو نصفها فقط بين صنف العرب وصنف اليهود فى أمريكا ، لأنجزنا أشياء عظيمة ولحققنا نتائج باهرة . ولكن أخطر من هؤلاء العرب المغتربين عرب آخرون من طراز مختلف ، هم العرب اليائسون .

ولأنهم يائسون فقد أعطوا ظهورهم ليس للقضية ولكن للعروبة نفسها ، ودفعهم هذا الموقف ليتحولوا إلى أمريكان ، وليس بالجنسية فقط ، ولكن بالمفهوم والعقلية والمزاج . وأحد من هؤلاء قابلته فى مدينة دالاس مهنته جواهرجى ومتزوج من أمريكية ويملك قصرا فخما فى ضواحى المدينة ودخله لابأس به ويتكلم عربية سليمة ،

ولكنه يفضل تطعيمها عند الحديث بكلمات آنجليزية بطريقة أمريكانى ، قال الأخ الجواهرجى العربى الأمريكى ، قبل أن أحضر إلى أمريكا حاولت الاستقرار فى بلد عربى ، ولكنى قوبلت هناك أحيانا بالقسوة وأحيانا بالاحتقار ! ولكنى هنا ـ هكذا يقول الأخ إياه ـ احسست بالانتماء لهذه الأرض لحظة وضعت قدمى عليها ، كان الود هو أول اللقاء وآخره كان الاحترام ، واحد آخر يعمل سائقا لتاكسى ، والتاكسى تملكه زوجته الأمريكية ، وهو يحقق ربحا لابأس به ، ويعيش عيشة لابأس بها ، ويكره العرب أضعاف كراهيته لليهود ، وأول عبارة نطق بها عند لقائنا (لو كان صباعى عربى لقطعته) ليه ؟ لأنه كان فى بلد عربى فضاق به الحال وفاض به الكيل ، فسب « ديك » أبو الحكومة . وهى عادة عند الأخ إياه كلما تنرفز سب « ديك » أى شىء وكل شىء ، « ديك » أهلك ديك النهار هايدا ديك الشغلة هايدى إنها نكتة أكثر منها موقف ولكن بعض حكوماتنا لاتعرف المزاح ولا تحب الهزار ، ونهار أبوه أزرق ، من شرطى إلى مركز شرطة إلى سجن تحت الأرض إلى محكمة سرية إلى خيانة عظمى إلى مصير أشبه بالموت ولاينقذه إلا إنقلاب ـ أستغفر الله ـ أقصد ثورة فالحمد لله كل انقلاباتنا ثورات وكل عساكرنا ثوار ، وكل أحاديث زعمائنا برامج للتنمية والتعمير والانشاء !

وعندما إنطلق هاربا من بلاده ـ بلاد العرب ـ لجأ إلى بلاد الأمريكان ، وهناك وجد الولد إياه نفسه وعثر على

ذاته . فهو هنا يسب ديك الحكومة وديك رئيس الولايات المتحدة وديك الولايات كلها فردا فردا والحاضر منهم يعلم الغايب ومع ذلك فلا تحقيق ولا شرطة ولا سؤال ! فكل إنسان على هذه الأرض حر فيما يعتقد وحر فيما يقول ، يسب ديك الحكومة ، يسب ديك الناس فليس فى الأمر جريمة ولامخالفة ولا يحزنون .

واحد آخر من هذا النوع التقيت به فى ولاية كاليفورنيا ، هاجر إلى أمريكا لأنه اضطهد فى بلاده ، فهو صاحب رأى مخالف لرأى السلطة ، وهو عندما كان فى بلاده كان لاينام الليل ، فهو يهب مذعورا كلما توقفت أمام بيته سيارة ، وينتفض مذعورا كلما طرق الباب طارق ، ويرتعش بدنه كلما دق جرس التليفون ، وتسلل الاخ إياه هاربا ولجأ إلى بلاد الأمريكان ، والله على أمريكا وعلى حلاوتها ، فهو هنا لايخاف شيئا إلا الحوادث ولايهاب أحدا إلا اللصوص ، ولكن الحكومة لاتخيف أحدا ولاجريمة على من يعمل ضدها أو يهتف بسقوطها ، ولذلك هو أمريكى جدا حتى النخاع ، أما هؤلاء الهمج يقصد أهلنا ، وأما هذه الخرابة يقصد بلادنا ، فهو منهم ومنها براء !

هذه النماذج هى ظاهرة عامة بين العرب فى أمريكا وبعض هذه النماذج لا أمل منه ولا أمل فيه ، والنتيجة أنهم ضاعوا إلى الأبد . ولكن هناك من بينهم من يقف على أهبة الاستعداد ليكون فى صفك إذا حقق العرب أى انتصار أو أنجزوا أى نجاح ، وإذا عادت الصفوف ،

ولكن فى أيام الانحسار ستجدهم هكذا ينكرون كل شىء ويسبون كل شىء ويحتقرون الأرض وما عليها ! فى خلال حرب أكتوبر وعندما تحقق لهؤلاء أن النصر فى جانب الجيوش العربية ، كان هؤلاء أول من خرج للشارع يجمع التبرعات ويعقد الندوات ويقود المظاهرات .

وعندما عادت دولة اليهود إلى الغطرسة ، عاد هؤلاء إلى الانكفاء وتواروا فى الظل ودخلوا فى البيات الشتوى وإلى حين يستطيع العرب تحقيق نصر آخر ! هناك نوع آخر من العرب التقيت به فى أماكن متفرقة فى الولايات المتحدة ، عرب متطرفون ومضحكون كذلك . بعض هؤلاء يرى أنه لاخلاص ولا أمل إلا بتحقيق الاشتراكية وتوزيع الثروة وتعميم الثورة ولو أدى الأمر إلى إغراق الأرض بالدم ، ولا طريق من وجهة نظر هؤلاء إلا بضرب الشواشى العليا للبرجوازية متضامنة مع الفلول الانهزامية متواكبة مع الاستبطان الانغلاقى من أجل تحقيق فائض القيمة للوصول إلى المجد الشنكحورى المتهافت على الحنجورى !! وتسأله وما الحل ؟ فيجيبك لا حل إلا بأن يقفز تنظيمه على الحكم ويتولى أمور البلاد والعباد ! وأين هذا التنظيم ؟ وتكتشف أن التنظيم هو هذا السيد الفاضل ، أقصد « الفاضل » وحده فى التنظيم ! ولو امتد نقاشك مع هذا الفاضل عدة ساعات ، فستكتشف أنه يهدف فى النهاية إلى نتيجة أقل من النتيجة التى أسفرت عنها كامب ديفيد ! فالمشكلة ليست فى إسرائيل كشعب ولكنها فى إسرائيل كدولة ـ لأنها ـ

من وجهة نظر الأخ إياه ـ دولة الترجمة الحقيقية لشعار الاستعمار هو أرقى مراحل الرأسمالية ، والكفاح ضد إسرائيل الدولة ينبغي أن يبدأ من إسرائيل ومن الوطن العربى أيضا ، وعندما تسيطر طبقة العمال فى إسرائيل وفى الوطن العربى أيضا ستنتهى المشكلة حتما . لأنه إذا كان ليس بين الخيرين حساب فليس بين الأخوة العمال مشاكل ! وهذا الأخ إياه وأمثاله لا وزن لهم ولاقيمة ، لأن بعضهم عملاء بأجر ، ومعظمهم أطفال فى مدرسة رياض الأطفال السياسة . وهؤلاء كان لهم صوت مسموع فى الوطن العربى خلال حقبة الأربعينات ولكنهم الآن تغيروا بعد أن اكتشفوا الحقيقة واختفت القيادات اليهودية من حركتهم . ولكن الذين ينبغى أن نهتم بهم هم هؤلاء الملايين من المواطنين العرب فى الولايات المتحدة الأمريكية الذين لا انتماء لهم ولا اتجاه .

هؤلاء الذين التوت ألسنتهم وأصبحوا يتكلمون العربية بلهجة أمريكية ، حتى الدين نفسه ، أصبح فى خطر ، فهم يتزوجون من أمريكيات مسيحيات ويتركون لأبنائهم حرية الاختيار هؤلاء سنخسرهم حتما إذا لم نهتم بهم . ولكن ماهو الاهتمام الذى يجب أن نحيطهم به ؟ هذه قصة أخرى □

« أمريكا يا ويكا »

.. وأخشى أن يفهم البعض دعوتى للاهتمام بالعرب الأمريكان أننى أطالب بالاهتمام بهم سياسيا أو ايفاد البعثات لتوعيتهم من أجل سلوك الطريق النضالى المشتراكى الوحدوى المتعانق مع الفجر القادم والبزوغ الآتى تحت قيادة الزعيم المناضل أو الزعيم المجاهد أو القائد المقاتل أو الرئيس الملهم أو الرئيس البطل .. إلى آخر هذه التسميات التى شبعنا منها على مدى نصف قرن من الزمان ، أنا لا أقصد الاهتمام بالعرب الأمريكان على هذا النحو ، ولكنى أقصد الاهتمام بهم عن طريق تنظيمات تضمهم وتربطهم بالعروبة كجنس وبالعربية كلغة وبالاسلام كدين ، وهى مسألة ضرورية للغاية وفى الدرجة الأولى من الأهمية أن يكون الاهتمام بهم على المستوى القومى ، وأن يكون الهدف هو خدمة قضايا العرب الرئيسية . ويمكن استخدامهم بعد ذلك كوسيلة ضغط على صانع القرار الأمريكى ، وحبذا لو بدأنا بانشاء مجالس عربية للمحافظة على اللسان العربى فى الأجيال القادمة . وأظن أنه عار وعيب أيضا أن ينشىء العرب عدة نواد ليلية وكباريهات وبارات فى واشنطن ونيويورك ولوس أنجلوس ولا ينشئون مدرسة واحدة فى طول الولايات

المتحدة الأمريكية وعرضها ! ثم أين المساجد والمراكز الاسلامية ؟ وأين الدعاة والرسل يذهبون ويعودون بيننا وبينهم ؟ وأين الندوات والمؤتمرات ؟ ليبقى الجسر موصولا بين عرب الوطن وعرب الولايات .. ولقد رأيت فى لوس أنجلوس مثلا حيا مصريا لحما ودما ، وكأنه جزء من حى شبرا ، نفس الزحام ونفس الروائح ونفس الأطفال فى الشوارع ، فلو قدر لك وذهبت الى هناك فستسمع فى دروب الحى نفس الشتائم ، وستلتقى ببائع البلح ، وبائع الجوافة ودكاكين تقلى الطعمية وتدمس الفول ، وستسمع أغانى عبدالوهاب وأم كلثوم ومحمد طه وشفيق جلال وعبدالحليم حافظ ، وفى ولاية أوهايو وجدت عربا هم نموذج أعظم على ما نستطيع تحقيقه لو أحسنا العمل وأخلصنا النية وعقدنا العزم على أن نخدم العروبة والاسلام ، فى مدينة سنسناتى عاصمة الولاية وجدت رابطة عربية أركانها عرب أمريكان ، طبيب علم النفس مصرى وابنته الطالبة تدرس الفلسفة فى جامعة الولاية ، وطبيب بشرى من فلسطين ، وطالب بعثة عراقى ، وتاجر سورى ورجل أعمال من الامارات ، وشاب ليبى ، وسيدة مغربية ، وزول من السودان ، وهى مجموعة منسجمة ومتكاملة وتصدر مجلة شهرية بامكانات قليلة وأحلام كبيرة ، ولقد اعتذرت بنت الدكتور الفلسطينى (اعتذرت لأونكل سعدنى) « بيكوز شى هاف توجو ، اندشى هوب توميت مى أجين » الكلمة الوحيدة التى نطقت بها بالعربى كانت السعدنى ! بنت الطبيب المصرى وهى المشرفة

على المجلة الشهيرة كانت تبكى كلما جاء ذكر مصر ، فهى لم تر مصر فى حياتها ، والبلد العربى الوحيد التى رأته كان العراق ، واندهشت عندما رأت فى العراق أناسا وسيارات وعمارات وحدائق ، فقد كانت تظن أن بلاد العرب صحراوات ، بدو وقوافل جمال ومضارب شعر وقيس يغنى على ليلاه !

فى مدينة « ليويزفيل » بولاية كانتاكى ، التقيت بمصريين طيبين يعملون موظفين فى الصباح وتجارا بعد الظهر ، وهم يتاجرون فى بضاعة خان الخليلى ، عقود ومسابح وتماثيل وجعارين ويكسبون دولارات قليلة ، ولكنها عند التحويل تصبح نقودا مصرية كثيرة تعينهم على أداء الواجب نحو الأهل فى الوطن الأم ! وهم سذج فى السياسة ويتصورون أن بلاد العرب تعوم على بحر من الفساد ، ويخشون من التأميم والمصادرة مع أنهم لا يملكون سوى بدلة واحدة ، وبعضهم يرتدى « جاكتة شكل » و« بنطلون شكل » وحذاء أغلب الظن أنه من وكالة البلح ، وعندما تحدثت معهم عن ضرورة عمل عربى مشترك فى أمريكا ! ، اقتنع بعضهم بمنطقى وتشكك البعض الآخر ، ولديهم بعض الحق ، حيث أن كل عربى فى أمريكا مشغول بنفسه وبمصالحه ولا شىء آخر ! ولكن أغرب من قابلت من العرب فى أمريكا ، بنت مصرية تعمل راقصة فى ناد ليلى فى سان فرانسسكو ، وبنت أردنية ترقص فى نادى على بابا بلوس أنجلوس ، وهى أول مرة اكتشف أن الأردنيات ينافسن المصريات فى

« هز » البطن ! البنت المصرية تعمل راقصة في الملهى ليلا ومدرسة رقص شرقى فى معهد أمريكى نهارا ، وهى تقول أنها جاءت إلى أمريكا بعقد كأستاذة للرقص الشرقي ، فهى سفير للفن العربى فى بلاد العم سام ، ثم اكتشفت وهى فى أمريكا أنها تستطيع أن تحقق دخلا آخر من خلال عملها فى الملهى ليلا فلم تتردد ، ولكن الشىء الذى أثار الراقصة هو أن جميع رواد الملهى من العرب ، بعضهم من الخارج ، وبعضهم من بلاد ترفع شعار الثورة اللى ما يغلبها غلاب وتنادى بتحقيق الاشتراكية وتحرير الوطن من النهر إلى البحر ، وهى لأنها تعيش فى العالم السفلى ، فهى لا ترى أمامها أى وميض من النور ، وليس هناك أى أمل ، وإذا كان العرب يبعثرون أموالهم فئ علب الليل ، فماذا تريد من راقصة أن تفعل ؟ « يا خويا خلى الطابق مستور وخلينا فى حالنا » هكذا قالت الراقصة المصرية وهى تستأذن فى الانصراف .. فقد دقت ساعة العمل الثورى ! أما البنت الأردنية فقد كانت ترقص فى ملاهى دمشق ثم انتقلت إلى ملاهى بيروت قبل أن تشتعل النار فى بيروت وتأكلها ، وكان لها أكثر من تجربة مع زبائن عرب أصحاب نفوذ وأصحاب قوة ، وكانوا يدخلون الملهى وفى جيوبهم مسدسات ، فهم مناضلون أيضا ! ثم عبرت البحر إلى أمريكا لتكتشف أن كل عربى هنا عالم لوحده ، وكل عربى جزيرة منعزلة ، وبعض العرب يستأجرون الملهى كله ليلة واحدة لينعموا فيه وحدهم ومع أصدقائهم وينفقوا عشرات الألوف من الدولارات ، ثم غمزت البنت الأردنية

بعينها وهى تقول « هل تعرف أن صاحب الملهى يهودى وأسرته لاتزال تعيش فى تل أبيب ؟ » .

ولكن فى المقابل هناك عرب أفاضل ، ولكن قلة ، ويبذلون جهودا عربية صادقة وإن كانت ضعيفة ، اتحاد الطلبة العرب يحاول ولكن وسط غابة من المشكلات والمعوقات ، وأسوأ ما فى الاتحاد أن الأيديولوجيات فيه على ودنه ، والنقاش داخله يجعلهم كخلية نحل ولكن برطانة لا يفهمها العربى العادى ، وفى كل فترة يتغلب تيار سياسى على الآخر ويحاول أن يجرهم خلفه ، بعض التيارات تحاول فرض رأيها بالعافية وبالفلوس ، والخلاف الحقيقى ليس على برامج أو مبادىء ولكن حول أشخاص وزعامات ، والجامعة العربية تحاول ولكن وسط جلبة من المناقشات البيزنطية ، وهل البيض قبل الدجاج أم الدجاج قبل البيض ؟ ويبدو أنهم لم يصلوا إلى حل بعد ، لأن البيضة لم تنطق والفرخة لم تتكلم ! وهناك عدة روابط عربية وكل منها تكافح فى طريق مغاد للأخرى ومضاد لها ! وهناك عرب « صيع » يبدأون الطريق دون مرشد أو معين ، وخطر سقوط هؤلاء فى قبضة الأعداء وارد .. وحصل ! وهناك قصص يتداولها العرب فى الولايات ، وبرغم قبح الصورة وسوء الحال ، فإن العزاء الوحيد هو أن حال العرب فى الولايات المتحدة هو انعكاس لحال العرب فى الوطن ، ولو انصلح حال العرب فى داخل الحدود ، لانعكس الحال فى الخارج ، ولو زعيم قام يجمع شتات الأمة ويدعو الجميع إلى النهوض ، ويمنحهم الأمل

فى عالم أفضل ، لو حركة انتصار واحدة على المستوى القومى ، لو خطوة شموخ واحدة فى مواجهة العدو الاسرائيلى ، لو لحن واحد يعزفه الجميع من الخليج إلى المحيط ، لو حدث شىء من هذا ، لهب جميع العرب فى الخارج وانتظموا فى صف العروبة وزحفوا تحت لوائها ، ولكن لو للأسف الشديد تفتح عمل الشيطان ، وهى كلمة صغيرة ولكنها تحتاج إلى معجزة لكى يصبح لها محل من الأعراب !

ولكن صبرنا على الكارثة انه حدثت معجزات كثيرة لشعوب كانت مثلنا من قبل ، فهكذا كان الفيتناميون فى فرنسا قبل الحرب العالمية الأخيرة ، خدما فى المطاعم وقوادين فى البيجال وجواسيس للمكتب الثانى الفرنسى ، فلما جاءهم هوشى منه ، انكشف الغطاء عن المعدن الفيتنامى الحقيقى ، فإذا به ذهب رنان وحديد صلب لا يلين ! وهكذا أيضا كان صنف الجزائرى فى باريس ، كان من بينهم سماسرة حى البيجال وسائقو التاكسى فى الليل وخدم فنادق ونواد وصالات قمار . فلما انطلقت رصاصات الثورة فى سماء الجزائر ، وهب بن بللا ورفاقه ، انطلق هؤلاء الذين كانوا مجرد حثالة ليصبحوا أسودا وأبطالا ، وكانوا أعظم احتياطى للثورة وأقوى أجنحتها على الاطلاق ، وفى أيام المد العربى فى الخمسينيات وحتى منتصف الستينيات ، كان كل عربى

فى أوربا وأمريكا قنبلة موقوتة ، وكانت أجهزة الأمن فى بلاد الخواجات لاهم لها إلا مراقبة العربى ، حتى من ذهب منهم إلى هناك للتعليم أو الذى ذهب إلى هناك للمتعة ! ذلك لأن الأمم عندما تخيب ، تخيب بكل فصائلها ، وعندما تهب ، تهب بكل أجنحتها ، والنفير لابد أن ينطلق من هنا ، أولا ، وسيبدأ الزحف من هناك لحظة انطلاق النفير ، وتسألنى ومتى يبدأ النفير؟ وأجيبك عندما تصبح أمور العرب فى أيديهم ، وحدودهم مفتوحة أمام أصدقائهم وبنادقهم مصوبة نحو أعدائهم ، وعرباتهم الملغومة تنفجر داخل بلاد الذين هزموهم وأذلوهم ، عندما يكون العالم فى معمله والزارع فى حقله والادارى فى مكتبه والكاتب فى موقعه بين الناس والفدائى عند خط النار وليس فى فندق خمس نجوم ، وعندما تكون الشعارات مطابقة للأعمال ، والأعمال سابقة للأقوال ، وعندما تكون الحكومة وكيلة عن الشعب والشعب فوق الحكومة ، عندما يأمن العربى فى أرضه فلا يخاف طارق الليل ولا جاسوس النهار ، عندئذ تشرق الشمس على أرض العرب ويتحقق النصر الذى طال الشوق إليه ، ولن نكون فى حاجة عندئذ إلى رأى عام دولى ولا أمم متحدة ولا مجلس أمن نرفع إليه شكوانا ، كما تفعل المطلقات والأيتام وأبناء السبيل !

والآن ، لقد كنا فى رحلة فى بلاد العم سام ، ولكن هموم الوطن شدتنا إليها ، ولكن لابد لنا من وقفة ، نلقى

فيها نظرة أخيرة على البلاد المترامية الأطراف من المحيط إلى الخليج ، نظرة أخيرة قبل أن نرفع قبعتنا وداعا ونرحل بعيدا عن بلاد الذهب الأصفر والذهب الأسود والتراب الذى ينافس الذهب فى البورصة وفى الأسواق !

تدريب وتهليب .. وابطال !

كل شيء في أمريكا تجارة .. الرياضة والسلاح والحب .. ! ! المهم أن يكون معك فلوس . وأن تدفع الثمن عند الاتفاق ومن حقك بعد ذلك أن تحمل التجارة وتمضي إلى المكان الذى تريد ! وقد تكون البضاعة دبابة أو غواصة أو امرأة فى طعم القشطة وفى عمر الورد ، أو لاعب رياضي شهير .. ! !

والرياضة فى أمريكا حق لكل مواطن كالماء والهواء وأكل الذرة المسلوقة ، وهى فى التنس تتقدم الدول ، وفى السباحة هى ست الكل ، وفى ألعاب القوى هى أعظم من الكل ، وفى الملاكمة هى الكل فى الكل ! ! ! وهى حق من حقوق الجميع حتى المواطن فى السجن وحتى الغريب اللاجيء .. وحتى الزائر عابر السبيل ! وبلغت نفقات الرياضة فى السجون مليار دولار فى عام ١٩٨٠ وبعض أبطال الملاكمة من المحترفين هم رواد سجون وخريجو ليمانات وأصحاب سوابق ليس لهم أصل ولا فصل ولا جذور !

وقصة الولد ليستون شرير الحلقة لا تزال عالقة بالأذهان كان زعيما من زعماء البلطجة ونجما من نجوم

الليل ، مارس النشل فترة وقضى فترة من حياته فتوة فى حى من أحياء البغاء ، واشتغل لصا محترفا فى عصابة تهاجم المنازل والبنوك ، وتعلم الملاكمة فى السجن ، وفى أوائل الستينيات لمع نجمه ، وانتزع بطولة العالم ولم يهنأ بها سوى ستة شهور وفجأة أطاح به محمد على كلاى فترك الحلقة وعاد إلى الشارع من جديد .. والتحق بالعصابات من تانى ، ولكنه عندما عاد لم يكن ذلك اللص القديم الذى يعرفونه ، عاد أكثر غرورا وأشد شراسة فقتله رجال العصابات ! ! وقيل أنه مات من شدة السكر وقيل أنه انتحر ، ولكنه ذهب بسره إلى قبره ولا يعلم الغيب إلا علام الغيوب !

ولد آخر من أبطال الملاكمة قضى حياته كلها فى السجون وتدرج فيها كأى مجرم من الملجأ إلى إصلاحية الأحداث إلى السجن إلى الليمان إلى معتقل سنج سنج الرهيب ، الذى لم يخرج منه أحد خلال ثلاثين عاما طويلة إلا لتلبية نداء ربه إلا هذا الولد (كونتى) الذى خرج من السجن لملاقاة حظه ولقد سمحوا له بالخروج لأنه أبدى طاعة عمياء طول فترة سجنه وسلك سلوكا ممتازا لا غبار عليه ونبغ نبوغا عظيما فى فن الملاكمة حتى طمع المشرفون على السجون أن يفوز سجين آخر بلقب بطل العالم ، وقبل محمد على كلاى أن ينازل الولد السجين وخرج الولد المحظوظ إلى حلبة الملاكمة ليقابل بطل العالم وأبدى خلال الملاكمة قوة على التحمل ولكن حكم الحلبة اضطر لوقف المباراة بعد الجولة السابعة .. فقد

وقف الولد على الحلقة كالشوال يتلقى اللكمات دون أن يتحرك .. فلم يكن قادرا على أن يرفع يديه ليدافع عن نفسه ، ولم يكن قادرا حتى على السقوط .. والرياضى فى أمريكا يباع ويشترى كأنه جاموسة فى سوق الثلاثاء .. وليس له الرأى عند البيع أو عند الشراء .. هل تعرفون (أسامة خليل) نجم فريق الاسماعيلى ومنتخب مصر فى السبعينيات ؟ لقد رحل الولد من القاهرة ليجرب حظه فى أمريكا واشتغل الولد لعيب كرة فى أحد نوادى نيويورك وبأجر قدره ثلاثة آلاف دولار فى الشهر خلاف الشقة والسيارة ومكافآت التعادل والفوز وهدايا المحبين والمشجعين .. واستقر الولد فى مدينة نيويورك هانئا بما هو فيه شاكرا رب العباد على نعمائه .. ومر عام وتوجه أسامة إلى النادى فوجد أبوابه مغلقة وليكتشف أن صاحب النادى باع النادى بما فيه وبمن فيه .. أدوات ومعدات ومدربين ولاعبين إلى شركة فى كندا وأن على الجميع أن ينقلوا إلى هناك ! ورحل أسامة إلى كندا فهكذا تقضى القوانين ، فاللاعب مجرد شىء فى النادى وهو لحظة التوقيع على العقد يكون قد وافق على بيع نفسه وشخصه وليس فنه أو لعبه وعلى صاحب الشغل أن يتصرف فيه وكما يشاء خلال المدة المحددة ، فى كندا فوجىء أسامة بأن الشركة التى اشترت النادى فى كندا قد قامت ببيع النادى مرة أخرى إلى مشتر آخر فى كاليفورنيا وحمل أسامة عصاه على كاهله ورحل إلى لوس أنجلوس فهو بعد أن وقع العقد أصبح موظفا بدرجة جناح

أيمن في فريق الكورة ويحضر إلى النادى حسب نظام صارم ويخضع لنظام دقيق وهو يتدرب فى مواعيد ثابتة ولا تتغير ولا يقبل أى اعتذار إلا فى حالات المرض الشديد ، وإذا حدث وتمارض اللعيب وقعوا عليه الجزاء وأحالوه إلى لجنة التحقيق .. وإذا حدث وتمادى اللعيب فى الدلع وأمعن فى التزويغ فإن قرارا بالفصل فى انتظاره والطرد من النادى هو مصيره المحتوم ! ! وبأسلوب حياتنا وبالطريقة السبهللية التوكلية التى تمضى عليها أمورنا قد يقول قائل وماله الطرد أو الفصل ؟ سيذهب اللاعب إلى ناد آخر وقد يأخذ أجرا أكبر وقد يجد ظروفا أفضل وسيعاود حياته من جديد ، هذا يحدث عندنا ولكن الذى يحدث فى أمريكا هو العكس ، نهار أبوه أزرق اللاعب الذى يطرده ناديه سيصوع ولا كلبة مسعورة وسيضرب ولا حمار فى مطلع وسيجوع ولا سؤمن فى بلد كلها خنازير .. لأن النادى الذى سيطرده سيصدر فى الوقت نفسه قرارا بوقفه عن اللعب ، وإذا صدر قرار بوقفه عن اللعب فليس لأى قوة فى العالم بوقف هذا الأمر أن تخرج عن هذا القرار واللاعب يعرف أن مصيره معلق على قرار من هذا النوع ومستقبله مرهون بموقف من هذا الطراز وعلى اللاعب أن يلتزم بقوانين النادى وتعليمات المدرب وأن يحظى بعطف وحب وتشجيع ناديه ، لأنه لا مهرب أمامه ولا طريق للنجاة وليس هناك وسيلة للعيش إلا باحترام القوانين والتفانى فى خدمة النادى والإجادة فى اللعب لكى يحظى فوق كل ذلك بتأييد الجماهير ..

عندنا فى بلادنا كنت أعرف لعيبا نجما يتسكع عند خط التماس والكل يتوسل إليه لكى يشترك فى المباراة وكان النجم يدعى المرض فى البداية ثم يساوم فى النهاية ليحصل على أجر معين وكان لا يخلع ملابسه إلا إذا تناول الأتعاب .. أعرف نجما آخر كسر جميع القواعد وخرق جميع القوانين وتحدى كل النظم والأعراف واضطر اتحاد الكورة فى مصر إلى وقفه عن العمل لمدة عام ولكن لم يمض شهر على هذا القرار .. حتى احتاجوا إليه فجأة وفى مباراة بين مصر وايطاليا فى كأس العالم العسكرية فى كرة القدم تمكن الفريق الايطالى من احراز هدفين فى الشوط الأول وكان يكفى مصر التعادل لتفوز بكأس العالم وبحثوا عن الكابتن إياه خلال الشوطين حتى عثروا عليه فى مقهى فى عابدين يجلس مسرورا آخر هدوء وانسجام ! ! وسحبوه من يده إلى أرض الملعب وألبسوه زى الكورة وهو غائب عن الوعى لا يكاد يعلم ماذا يجرى من حوله والغريب أنه اشترك فى اللعب واستطاع تسجيل هدفين وتعادلت مصر مع ايطاليا وفازت بكأس العالم وأصدر اتحاد الكورة قرارا برفع الوقف عن اللاعب ويا دار ما دخلك شر ! !

اللعب هنا على الكيف وهناك على اللائحة والعلاقة هنا بالمزاج وهناك بالقانون ، واللاعب هنا هو الذى يتحكم فى النادى والنادى هناك هو الذى يتحكم فى اللاعبين ولذلك فالرياضة عندنا تسير فى خط متعرج وتسير هناك على

خط مستقيم .. وهنا نلعب يوما كالبرازيل ويوم كالزرازير .. وهناك يلعبون بمستوى واحد ويحققون نتائج معروفة سلفا لأن كل شىء هناك بالكمبيوتر والحساب وليس بالنية وحسب التساهيل .. ولكن اللعيب هناك ويعامل كالملك وله حقوق ولا حقوق نجم السينما وأجره يتيح له حياة كريمة يحرص هو على استمرارها ولذلك يحرص على الطاعة وتنفيذ الأوامر والبنود ، وفى أغلب بلاد العرب يحترف اللعيب عشر سنوات وينتهى إلى التسول وأن ساعده الحظ وجد نفسه موظفا فى أرشيف مصلحة المجارى ، أو بوابا فى عمارة من عمارات الأوقاف ! أعرف لاعبا (دوليا) مثل مصر فى أولمبياد طوكيو وحصلت مصر على المركز السادس وكان شهيرا وجهيرا واسمه يدوى كالطبل فى المنطقة العربية والأفريقية وفى بلاد ماوراء البحار ، ويسرح الآن بجردل قازوزة على المصيفين فى بلاج بورسعيد صيفا ، ويسرح بملابس مسروقة على أرصفة بورسعيد شتاء ، وينام بعض الليالى فى بيته وأغلب الليالى فى قسم بوليس المناخ .. كيف ضاع الدولى وضاع ؟ ! لأننا نستخدم اللعيب بأقل الأثمان ثم نرميه في النهاية لأتفه الأسباب . وفى فترة تألقه نحرص على حاضره ولا نهتم بمستقبله لأننا نعامله كلاعب وليس كإنسان ، فهو مجرد إله عندنا ينتج اللعب فإن شاخ أو أصابه عطل ما ذهبنا به إلى الجراح وبعناه بأبخس الأثمان ! وهناك تبدو العلاقة بين اللاعب والنادى وكأنه أداة ولكن الحقيقة عكس ذلك على

طول الخط ، فهم يؤمنون على اللاعب بمبلغ كبير يقبضه إذا مات واذا اعتزل اللعب وهو مبلغ يكفيه لأن يبدأ حياته وصاروا أصحاب ملايين أو أصحاب عقارات ، وأصحاب طين ، وكلهم فى بحبوحة من العيش ، وكل الخير الذى لديهم من عرق أقدامهم أو عرق سواعدهم نتيجة الرياضة وما قدموه للناس من فن خلال فترة التألق والشهرة والعنفوان !

فى ولاية ميتشنجان الأمريكية حاولت أن أجرى حديثا مع لاعب بيسبول شهير ، قالوا لى أنه واحد من مليونيرات الولاية المعدودين ، وأن ثروته تقدر بعدة مليارات ، وأنه لو وقع على كل الأتوجرافات التى تقدم إليه أو ترسل إليه بالبريد لأنفق عمره كله فى أداء هذا العمل دون أن يجد فرصة لآداء عمل آخر ، واتصلت من فندقى بالسيد اللعيب المليونير وردت على الجانب الآخر سكرتيرة تغنى ولا تتكلم ولما فهمت أننى صحفى من بلاد الشرق وأننى أريد اجراء حديث مع النجم المشهور أمهلتنى ساعة لتأتينى بالجواب بعد أن تتصل باللاعب الشهير وبعد ساعة بالضبط جاءنى الجواب (ممكن اجراء الحديث بعد ٤٥ يوما وسيسمح لى بنصف ساعة فقط وسأدفع عشرة آلاف دولار نظير اجراء الحديث !) واعتذرت للسيدة السكرتيرة لضيق ذات الوقت وليس لضيق ذات اليد .. أعوذ بالله !

وفى فيلادلفيا اتصلت بملاكم أبيض كان يستعد وقتها

لبطولة العالم لاجراء حديث معه أعتذرت السكرتيرة لانشغاله الشديد فى التدريب ، قلت : أريد بعض المعلومات عن البطل إذا أمكن ؟ ، قالت : المعلومات ستكون متوافرة بعد ساعة زمان وسنرسلها إلى الفندق مع مخصوص ، وقالت وهى تنهى المحادثة : عليك أن تقدم أجر خمسين دولارا للسكرتيرة التى ستحمل المعلومات إليك .. وقلت : آسف لأن طائرتى ستغادر بعد عشر دقائق ! ! ، وكنت كاذبا فيما أقول ! ! قالت : إذن تستطيع أن ترسل لنا المبلغ وسنرسل لك المعلومات على العنوان الذى تريد ، وشكرت الست السكرتيرة ووعدتها خيرا وأقسمت ألا أجرى حديثا مع أى رياضى فى أمريكا على الإطلاق ! !

وإذا كانت الرياضة عندنا هواية فهى عندهم تجارة ومكاسب وفلوس .. أغنى رياضى فى العالم أمريكى وهو نجم من نجوم البيسبول ثانى أغنى رياضى العالم وهو برازيلي وهو بيليه ، الثالث والرابع والخامس أمريكيون وهم برضه من نجوم البيسبول ، ولو فى العالم ألف رياضى غنى سنجد أن تسعمائة منهم من أمريكا ومائة من أوربا وأمريكا اللاتينية ، أما اللعيبة تبعنا فلهم الستر والعمر الطويل .. ولكن هل تأتى الثروة من اللعب فقط ؟ والجواب نعم تأتى من اللعب أولا ثم تنمو بالشهرة والأعمال والمشروعات وعقود الدعاية والإعلان .. مثلا محمد على كلاى كان يهبر عدة ملايين كل عام لقاء ظهوره

فى إعلان عن الهمبورجر ، ونجم التنس ماكنرو كان يلهف عدة ملايين كل عام لقاء ظهوره فى إعلان عن دنلوب ، وبطل سباق السيارات الأمريكى يقبض عدة ملايين كل عام لقاء ظهوره فى إعلان عن جنرال موتورز وكل أمريكى شهير له حصة فى ميزانية الدعاية والإعلان ، وهى ميزانية ترصدها الشركات فى أمريكا وتقدر بعدة بلايين من الدولارات ، ويفوز بالنصيب الأوفر من هذه الميزانية نجوم السينما ثم نجوم الرياضة ثم نجوم السياسة الذين اعتزلوا المباحثات والمفاوضات وتفرغوا لأمور الدعاية والإعلان .

وفى الوطن العربى مائتا مليون بنى آدم وربما ربع مليون شخص أو أقل هم الذين يمارسون الرياضة والألعاب وفى أمريكا مائتان وأربعون مليون منهم أربعون مليون يمارسون الرياضة وعدد المحترفين ثلاثة ملايين بالتمام والكمال والرياضة هناك شركات ومؤسسات وعصابات والمجال الذى يظهر فيه أثر العصابات هو الملاكمة فأغلب الملاكمين تلتقطهم العصابات من الشوارع وتدربهم على الملاكمة وتستخدمهم فى حوادث عنف واللامعون من بينهم يذهبون إلى الحلقة والأغنياء منهم يحترفون الجريمة والرءوس الكبيرة فى العصابة هى التى تحرك الجميع ملاكمين ومجرمين على حد سواء . ومعظم دخل الملاكمين يذهب إلى رجال العصابات .

باى .. باى
بلاد الاحلام

« الآن وقد طفنا ببلاد العم سام ، مشرقها ومغربها ، وعشنا مع أثريائها وصعاليكها ، وتكلمنا مع مثقفيها ومغفليها ، ورأينا حسناتها وسيئاتها ، واكتشفنا أنها ضدنا لأننا ضد أنفسنا ، وتمنيت على الله الكريم أن نستفيد من الحسن الذى لديهم وأن نتجنب الشر الذى عندهم . فأمريكا مثلها مثل أى مكان آخر ، ليست خيرا خالصا ولا هى شرا خالصا ، وإنما فيها كل شىء وأن كانت حسناتها أكثر من سيئاتها .

ونحن على أهبة الرحيل لا نملك إلا أن أقول .. الله الله على أمريكا ، الله عليها وع اللى حواليها .

كل شىء متوافر وكل شىء موجود وكل شىء على قفا من يشيل . أنهار .. ألف نهر ولانهر الكونغو ، وترع .. عشرة آلاف ترعة ولا ترعة سبك ، وبحيرات .. عشرة آلاف بحيرة ولابحيرة التمساح ، وأشجار على ودنه ، وفواكه من كل صنف ، وحيوانات من كل شكل ، وطيور على كل لون . الحيوانات من الأسود الى الضباع الى الفهود الى الديوك الرومى المتوحشة ، الديك منها ولا خروف معلوف قبل العيد الكبير بعدة شهور ، والعجيب أن

للديك الرومى عيداً يحتفلون به فى أمريكا . وأصل الحكاية أن المهاجرين الأوائل عندما نزلوا على الشواطىء ، جاء عليهم حين من الدهور كاد الجوع يقتلهم ، وقد حاصرتهم المياه من كل جانب وضربتهم العواصف من كل صوب وقذفتهم السماء بحجارة من جليد ، ولم يكن هناك شىء يؤكل ولا أمل فى ذلك ، فالمزروعات غطتها الثلوج والماشية نفقت من شدة الصقيع والجوع ، وحتى الطيور اختفت فقد هاجرت الى مكان آمن . ووسط هذا الهول الأعظم والموت الزؤام . تطوع عشرة من المهاجرين الشبان للبحث عن طعام فى آى مكان وفى كل مكان . وخرجوا يتعثرون فى الثلوج ويغوصون فى الأوحال ، ومر عليهم نهار وليل ثم نهار آخر ، وكاد اليأس يقتلهم والجوع يعمى أبصارهم ويفقدهم توازنهم ، فقرروا العودة ليعلنوا للآخرين أن الأرض التى جاءوا اليها ليست أرض السمن والعسل ولكنها ارض الثلوج والطين ، وأنها ليست أرض الميعاد ولكنها ارض الممات . وفى طريق العودة والأنفاس تقطعت والصدور تحشرجت والعافية راحت والأمل خبا وانطفأ ، ظهر فجأة قطيع من الديوك الرومى المتوحشة ، واضح من منظره أن أفراده شعروا بالجوع فخرجوا يبحثون عن غذاء . وتقابل القطيعان على الجوع ، وتقاتلوا على من يأكل الآخر . معركة الرجال والديوك . وكانت معركة نزفت فيها الدماء وتحطمت فيها العظام وتكسرت فيها الرءوس ، ولم يحسمها فى النهاية الا البنادق والرصاص . ونفق

لعشرات الديوك ، وحمل الرجال معهم الى معسكر
اللاجئين مئات الديوك وكانوا قد أشرفوا على الهلاك ،
فأكلوا هنيئا وشربوا مريئا وعاشوا بعد ذلك على إبادة
نوع آخر من المخلوقات اسمه الهنود ! ويحتفل
الأمريكيون كل عام بعيد الديك الوحشى . يحتفلون به وقد
تغيرت الظروف وتغير الديك أيضا ، فلم يعد الأمريكيون
يعانون الجوع ، ولم يعد الديك وحشيا . فقد تكسرت
أظافره وفقد حدة منقاره ، وأصبح كالدجاج البلدى ، آخر
لطافة وآخر خنوع . لقد انقرضت الديوك الوحشية من
أمريكا ولم يعد لها وجود الا فى الأماكن النائية ، وعددها
لايتجاوز المئات ! وخلا مكان الديك فى مملكة الوحوش ،
وإن كانت المملكة لاتزال عامرة بكل أنواع الوحوش ..
السباع والضباع والطيور الجارحة والبنى ادمين ! واذا
كانت أمريكا بلاد الوفرة فهى أيضا بلاد التيه . فمن
نيويورك الى كلورادو مسافة أربع ساعات بالطائرة
الجامبو ، وهى نفس المسافة من طرابلس الى الكويت ،
ومن كلورادو الى تكساس مسافة ساعة ونصف الساعة ،
وهى نفس المسافة من البحرين الى بغداد ، ومن تكساس
الى لوس انجلوس ساعتين ونصف كالمسافة بين القاهرة
والرياض ، ومن واشنطن الى سان فرانسسكو سبع
ساعات ونصف الساعة ، وهى نفس المسافة من أبو ظبى
الى الدار البيضاء . ومع ذلك فلا أحد هناك يستوقفك ولا
أحد يفتشك ، ولا جمارك ولا حدود ولا جوازات ، بلاد الله
لخلق الله . كل مواطن فيها حر . يتجول كما يشاء أو كما

يستطيع . فالتذاكر غالية والمصاريف باهظة ، ولكن الأمريكى معه فلوس . ودخله يكفيه للمعايش والتجوال ، والسبب هو وحدة هذه الأمة الممتدة من المحيط الأطلنطى الى المحيط الهادى ، شقة واحدة بلا تقطيع ولا انفصال ، ولذلك البطيخ (المكسيكو) يغطى الولايات كلها صيفا ، والعنب وارد (كاليفورنيا) يغطيها صيفا وخريفا ، والبرتقال (الكلورادى) يغطيها صيفا وشتاء ، وكل الولايات تعطى وتأخذ ، لارسوم ولاتعقيدات ، مع أن الفروق بين الولايات أعمق من الفروق بين بلادنا ، وحتى اللهجات أكثر تباينا من عندنا فالتكساسى لايفهمه النيويوركى ، والفرجينى لايفهم الأريزونى ، ونمط الحياة فى دنفر يختلف عن نمط الحياة فى بافالو ، ولكن التفاهم موجود والمصلحة قائمة والبركة حلت على الجميع . وفى أمريكا مائة قومية ، ناس أصولها آرية وناس من الهنود الحمر ، والسود جميعا من أفريقيا ، ولديهم قومية كبيرة من الصفر .. من الصين واليابان وجنوب شرق آسيا .. وفى أمريكا عرب أمريكان وأمريكان يهود ، ولديهم أسبان يتكلمون لغتهم حتى الآن ، ولديهم مائة دين ، فمعابد البوذيين منتشرة ، ومعابد اليهود قائمة فى كل ركن ، ومآذن المسلمين مرتفعة فى السماء ، والكنائس من كل صنف وعلى كل لون ، مئات الأديان وألوف المذاهب . ناس تعبد الشجرة وناس تعبد البقرة وناس تسجد ووجهها شطر الأهرام ، وبالرغم من ذلك فهم أمة واحدة . ونحن عشرون دولة ومائة إمارة ومليون إتجاه ومائة وخمسون مليون زعيم خالد ، وبعد ذلك نحلم بالعودة الى الماضى

ونريد أن ندخل الجنة !! ولأنها إتحدت ، فقد أصبح كل أمريكي حرا وكل أمريكي مسئولا . والحكومة مجرد ادارة للأشراف على تنظيم الأعمال ، وليست مالكة للعباد والبلاد . والرئيس الأمريكي موظف يمكن فصله أو طرده والاستغناء عن خدماته في أي لحظة ، وليس صاحب حق الهي في حكم الناس ، فمن خالفه منهم فهو ملعون ، ومن وقف ضده فهو مطرود ، ومن رفع يده احتجاجا فهو متآمر وخائن وعميل وبلا أخلاق قرية !! ولذلك فكل شيء هناك على مايرام . ليس مائة في المائة ولكن سبعين في المائة . وهذا حسن للغاية . والحكومة تحكم بواحد وخمسين في المائة وليس بتسعة وتسعين في المائة وتسعمائة وتسعة وتسعين في الألف كما هو الحال عندنا . وكل متهم بريء حتى تثبت إدانته ، وكل أمريكي حر حتى يحكم عليه القاضي ، كل أمريكي محترم حتى نزيل السجن ، وأتمنى أن أعيش حتى أرى هذا اليوم في بلادنا ، ولكن يبدو أنني احتاج الى عمر سيدنا نوح لأرى تباشير هذا اليوم . ولقد حلمت بهذا اليوم وأنا أتسكع على شاطيء المحيط الهادي بين لوس أنجلوس وسان فرانسسكو . وحلمت به وأنا أهم بمغادرة قارة أمريكا بعد ستة أسابيع كاملة أمضيت أغلبها في طائرات وزرت خلالها أكثر من دستة ولايات وحوالى عشرين مدينة ، وزرت القرى والريف الأمريكي وهو ريف غني بالمحاصيل وفقير في المنظر اذا قورن بريف إنجلترا ، وتمشيت

افرنجي على شواطىء البحيرات ، وفى أمريكا عدد منها يفوق عدد البرك الناجمة عن طفح المجارى فى الوطن العربى ، وتفرجت على مسارح مانهاتن وعلب الليل ، وشاهدت باعة المخدرات يقطعون الصنف ويضعونه فى الميزان حسب طلب الزبون ، هكذا علنا وأمام الناس وعلى عينك ياتاجر . بينما عسكرى الداورية الأمريكى واقف على الناصية متشاغلا وكأننا فى الباطنية ولسنا فى نيويورك ، وتفرجت على بيوت نجوم السينما فى هوليود وعلى مقابرهم ، وقرأت الفاتحة على روح المرحوم دالاس بيرى والمرحوم ادوارد جي روبنسون والمرحومة لانا تيرنر والمرحوم جيمس دين وشاهدت احياء الفقراء ، وحارة رابعة بالجيزة أحوالها أحسن بالقطع وأرفع مستوى من حوارى الفقراء فى أمريكا ، ولاحظت أن التفرقة العنصرية لامجال لها في حى الفقراء ، فالسود الفقراء والبيض الفقراء يعيشون جنبا الى جنب فى سلام وهدوء . وفى انتظار فرج الله ، ورأيت فى أمريكا نصابين لايفوقهم أحد في حرفة النصب وحرامية يسرقون فى عز الضهر ، ودخلت بارات تقدم لك المشروب مقابل ثلاثة دولارات وتسمح لك بالفرجة على نسوان ترقص أمام المرآة زلط ملط ، وشعرت بحزن شديد وأحسست بأنى جئت إلى أمريكا متأخرا ، وكان ينبغى أن أزورها منذ ثلاثين عاما . ولقد كانت مأساتى الحقيقية خلال الزيارة أننى لم أكن قادرا على قطع الرحلة حتى النهاية واضطربت أحوالى بسبب قلة صحتى وعظيم رغبتى

وأتمنى أن تتيح لى الظروف زيارة أمريكا فى مناسبة قادمة . لكى أرى الولايات التى لم أرها ، وأطوف بالأماكن التى لم تقع عينى عليها .

ونصيحة واحدة للعبد لله الى كل ويكا يرغب فى السفر إلى أمريكا ، أن يطرد هذه الفكرة من دماغه ، إذا كانت شهادة ميلاده تشير الى أنه قد تعدى الثلاثين ، وأرفع قبعتى الآن وأنحنى وداعا لأمريكا ، وأرفع قبعتى بالرغم من أننى ليس لى قبعة وليس على رأسى شعر ، ولكنها عقدة الخواجة التى أصابت البعض منا ، فأصبحنا نتشبه بالخواجة ، ومن تشبه بالخواجة يكرم .

وأقول وداعا لقارة أمريكا وأنا استعد للطيران عائدا من حيث جئت . وهتفت من أعماقى وأنا القى على أمريكا نظرة أخيرة .. باى باى بلاد العم سام .. باى باى بلاد الفتونة والقرصنة والطمع والجشع ، الثورة والثروة ، والعافية والمافيا ، باى باى بلاد الأحلام !□

فهرس



الهلال

مرآة العقل العربي

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية واحد وعشرون جنيها وفى بلاد اتحادى البريد العربى والأفريقى والباكستان سبعة عشر دولارا أو ما يعادلها بالبريد الجوى وفى سائر أنحاء العالم خمسة وعشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية ، وفى الخارج بشيك مصرفى لأمر مؤسسة دار الهلال ، وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة عالية عند الطلب

● وكلاء اشتراكات مجلات دار الهلال

الكويت : السيد/ عبدالعال بسيونى زغلول ، الصفاة - ص . ب رقم ٢١٨٣٣
للحصول على نسخ من كتاب الهلال اتصل بالتلكس : 92703 Hilal.V.N

رقم الايداع : ٣٩٦٠ / ١٩٩٠
J · S · B · U
777 — 07 — 000 — 2

هذا الكتاب

بقلمه الساخر يقدم محمود السعدنى أمريكا والعصر الامريكى الذى تعيشه ، مستخدما حاسة السخرية والفكاهة التى يحوّل بها « ابن البلد » مآسيه الى ضحكات وقفشات ، ويقدم شهادة ابن الشعب على مايدور حوله ، فهو لايشهد الأحداث عن بعد ولكنه يتفاعل معها .

يفسر اللغز الامريكى قائلا : « امريكا ليست دولة ولكنها قارة ، وهى ليست جزءا من البشرية ولكنها البشرية نفسها فى سحرها وانحطاطها ، فى ظلمها وفى عدلها » انها فتوة العالم الجديد والوحيد ايضا .. وهى البلد الوحيدة التى تطلق على حكومتها اسم ادارة ، لأنها ليست دولة ، ولكنها شركة ، ومواطنوها ليسوا شعبا ولكنهم مساهمون فى الشركة .

وسوء حظنا نحن ابناء هذا الجيل أننا عشنا العصر الامريكى ووقعنا تحت طائلة العدل الامريكى .

انه كتاب تمتزج فيه السخرية والضحك بالفن والجمال .

للغسالات
الأتوماتيكية

FOR ALL AUTOMATIC WASHING MACHINES

Loly

PRODUCT OF
ALEXANDRIA OIL & SOAP Co.
ALEX. EGYPT

لولى

على أنزيمات فعالة ...
لها القدرة على إزالة

أسلوب عصري للتنظيف
ذو أداء فعال متميز